الشخصيات التراثية في الامثال العربية

سجى جاسم محمد

قسم اللغة العربية / كلية التربية/ جامعة ميسان

المستخلص:

تُمثل دراسة التراث العربي مجالاً معرفياً مهماً في البحث الأدبي؛ لما ينطوي عليه من رصيد ثقافي وحضاري أسهم في إثراء الأدب العربي وإمداده بمصادر الإلهام والرؤى المتجددة، وتُعدّ الأمثال العربية أحد أبرز مكونات هذا التراث، إذ اختزنت في بنيتها اللغوية الموجزة الذاكرة الجمعية للمجتمع العربي، وقد رسمت الأمثال العربية صورة واضحة للبيئة العربية ، وما انطوت عليه من عادات وتقاليد وقيم اجتماعية وأخلاقية، فوثقت كثيراً من المظاهر السلوكية السائدة آنذاك، مثل الشجاعة والوفاء والكرم والمروءة، ولم يقتصر دورها على إبراز الجوانب الإيجابية فحسب، بل تناولت أيضاً بعض الظواهر السلبية بقصد التنبيه إليها والتحذير منها، كالجبن والغدر والبخل، مما منحها بعداً تقويمياً وإصلاحياً.

ومن هذا المنطلق، اكتسبت الشخصيات التراثية حضوراً بارزاً في الأمثال العربية؛ إذ استُحضرت بوصفها نماذج إنسانية ارتبطت بصفات أو مواقف معينة اشتهرت بها في الوعي الجمعي، وقد جاء توظيف هذه الشخصيات تعبيراً عن تجارب حياتية وقيم اجتماعية متجذرة، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، فأصبحت وسيلة فنية ودلالية للتعبير عن الواقع وتمثيل قضاياه المختلفة، كما أن استدعاء الشخصيات ذات الدلالات السلبية لا يخلو من الإشارة إلى مظاهر الخلل الاجتماعي والسلوكي، في حين يعكس استحضار الشخصيات الإيجابية حرص المجتمع على ترسيخ القيم والمثل العليا، وبذلك أسهمت الشخصيات التراثية في تشكيل بنية المثل العربي وإغناء دلالاته، إذ جسدت صوراً متعددة عكست واقع المجتمع العربي وأبعاد ثقافته الفكرية والأخلاقية.

الكلمات المفتاحية: الأمثال، ،الشخصيات التراثية ، الشخصيات التاريخية ، الشخصيات الدينية ،الشخصيات الاجتماعية.

Heritage Figures in Arabic Proverbs

Saja Jassim Mohammed

University of Misan/College of Education / Department of Arabic Language

Email: Jassim saja25@gmall.com

https://orcid.org/0000-0001-5781-1005

Abstract:

The study of Arab heritage represents an important field of knowledge in literary research, as it encompasses a rich cultural and civilizational legacy that has significantly contributed to the development of Arabic literature and provided enduring sources of inspiration and renewed perspectives. Among the most prominent elements of this heritage are Arabic proverbs, which preserve within their concise linguistic structure a wide range of stories, images, and human experiences. Through their condensed rhetorical forms, these proverbs have transmitted values, wisdom, and lessons across generations, becoming firmly embedded in the collective memory of Arab society.

Arabic proverbs also offer a vivid portrayal of the Arab environment and its social, cultural, and moral foundations. They document many of the behavioral traits that were highly regarded at the time, such as courage, loyalty, generosity, and honor. Their role, however, was not limited to highlighting positive qualities; they also addressed undesirable behaviors in order to warn against them and draw attention to their consequences, including cowardice, treachery, and miserliness. In this way, proverbs assumed both an evaluative and a reformative function.

Within this context, heritage figures came to occupy a prominent place in Arabic proverbs. These figures were invoked as human models associated with particular traits or situations that had become widely recognized in the collective consciousness. Their inclusion reflected deeply rooted social values and life experiences, whether positive or negative, and served as an effective literary and symbolic means of expressing reality and representing its various concerns. References to figures with negative associations often pointed to forms of social and moral deficiency, whereas the invocation of positive figures reflected society's desire to reinforce virtuous values and ideals. Consequently, heritage figures played a significant role in shaping the structure of Arabic proverbs and enriching their meanings, embodying diverse images that mirrored the realities of Arab society and the intellectual and ethical dimensions of its culture.

Keywords : Proverbs, folkloric characters, historical figures, religious figures, social figures

المورد الأول التّراث لغةً و اصطلاحاً:

إن التراث ركيزة أساسية من ركائز الأمم، فهو الهوية الثقافية لأي أمة، وعنوان اعتزازها بذاتها الحضارية في ماضيها وحاضرها، إن التراث الثقافي للأمم منبع الإلهام ،ومصدر حيوي للإبداع المعاصر، ينهل منه فنانوها وأدباؤها وشعراؤها، و مفكروها وفلاسفتها، كي تأخذ الإبداعات الجديدة موقعها في خارطة التراث الثقافي، وتتحول هي بذاتها تراثا يربط حاضر الأمة بماضيها[1]، أولاً أصل كلمة التراث من الناحية اللغوية لها جذور لغوية كثيرة على الرغم من ندرة شيوعها وقلة استعمالها، والمتأمل للدلالة المعجمية لكلمة التراث يجدها بطبيعة الحال مشتقة من الفعل ورث ومرتبطة بالإرث والميراث والتركة والحسب وفي هذا يقول ابن منظور(ت٧١١هـ): ((ورث : الوارث : صفة من صفات الله – عز وجل – ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ، ويبقى بعد فنائهم ، والله – عز وجل – يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين أي يبقى بعد فناء الكل ، ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له ، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، قال ثعلب : يقال إنه ليس في الأرض إنسان إلا وله منزل في الجنة ، فإذا لم يدخله هو ورثه غيره ؛ قال : وهذا قول ضعيف ، ورثه ماله ومجده وورثه عنه ورثا ورثة ووراثة وإراثة ، يقول أبو زيد : ورث فلان أباه يرثه وراثة وميراثا وميراثا ، وأورث الرجل ولده مالا إيراثا حسنا ، ويقال : ورثت فلانا مالا أرثه ورثا وورثا إذا مات مورثك ، فصار ميراثه لك ، وقال الله تعالى إخبارا عن زكريا ودعائه إياه: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا *يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي ؛ قال ابن سيده : إنما أراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة ، ولا يجوز أن يكون خاف أن يرثه أقرباؤه المال ؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا ، فهو صدقة، وقوله عزّ وجل: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ قال الزجاج : جاء في التفسير أنه ورثه نبوته وملكه ، وروي أنه كان لداود – عليه السلام – تسعة عشر ولدا ، فورثه سليمان – عليه السلام – من بينهم النبوة والملك . وتقول : ورثت أبي وورثت الشيء من أبي أرثه ، بالكسر فيهما ، ورثا ووراثة وإرثا ، الألف منقلبة من الواو ، ورثة ، الهاء عوض من الواو ، وإنما سقطت الواو من المستقبل لوقوعها بين ياء وكسرة ، وهما متجانسان والواو مضادتهما ، فحذفت لاكتنافهما إياها ، ثم جعل حكمها مع الألف والتاء والنون كذلك ؛ لأنهن مبدلات منها ، والياء هي الأصل ، يدلك على ذلك أن فعلت وفعلنا وفعلت مبنيات على فعل ، ولم تسقط الواو من يوجل لوقوعها بين ياء وفتحة ، ولم تسقط الياء من ييعر وييسر لتقوي إحدى الياءين بالأخرى ، وأما سقوطها من يطأ ويسع فلعلة أخرى مذكورة في باب الهمز ، قال : وذلك لا يوجب فساد ما قلناه ؛ لأنه لا يجوز تماثل الحكمين مع اختلاف العلتين . وتقول : أورثه الشيء أبوه ، وهم ورثة فلان ، وورثه توريثا أي أدخله في ماله على ورثته ، وتوارثوه كابرا عن كابر ، وفي الحديث : أنه أمر أن تورث دور المهاجرين ، النساء تخصيص النساء بتوريث الدور ؛ قال ابن الأثير : يشبه أن يكون على معنى القسمة بين الورثة ، وخصصهن بها ؛ لأنهن بالمدينة غرائب لا عشيرة لهن ، فاختار لهن المنازل للسكنى ؛ قال : ويجوز أن تكون الدور في أيديهن على سبيل الرفق بهن ، لا للتمليك كما كانت حجر النبي – صلى الله عليه وسلم – في أيدي نسائه بعده، ابن الأعرابي : الورث والورث والإرث والوراث والإراث والتراث واحد، الجوهري : الميراث أصله

موراث ، انقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها ، والتراث أصل التاء فيه واو . ابن سيده : والورث والتراث والميراث : ما ورث ؛ وقيل : الورث والميراث في المال والإرث في الحسب ، وقال بعضهم : ورثته ميراثا ؛ قال ابن سيده : وهذا خطأ ؛ لأن مفعالا ليس من أبنية المصادر ، ولذلك رد أبو علي قول من عزا إلى ابن عباس أن المحال من قوله – عز وجل : – وهو شديد المحال ، من الحول قال : لأنه لو كان كذلك لكان مفعلا ، ومفعل ليس من أبنية المصادر ، فافهم . وقوله عز وجل﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، أي الله يفني أهلهما فتبقيان بما فيهما ، وليس لأحد فيهما ملك فخوطب القوم بما يعقلون لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثا له إذ كان ملكا له وقد أورثتيه ، وفي التنزيل العزيز:﴿ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ ، أي أورثنا أرض الجنة نتبوأ منها من المنازل حيث نشاء ، وورث في ماله : أدخل فيه من ليس من أهل الوراثة، الأزهري : ورث بني فلان ماله توريثا ، وذلك إذا أدخل على ولده وورثته في ماله من ليس منهم ، فجعل له نصيبا . وأورث ولده : لم يدخل أحدا معه في ميراثه ، هذه عن أبي زيد . وتوارثناه : ورثه بعضنا عن بعض قدما . ويقال : ورثت فلانا من فلان أي جعلت ميراثه له . وأورث الميت وارثه ماله أي تركه له))[٢] ، وفي قاموس تاج اللغة وصحاح العربية ((الميراث أصله مِوروث، انقلبت الواو إلى ياء لكسر ماقبلها والتراث أصل التاء فيه واو، ويقال أورثته الشيء أبوه ،وهم ورثة فلان ، وورّثه توريثا أي أدخله في ماله على ورثته وتوارثوه كابر عن كابر)) [٣] ، والتراث هو ((كل ما ورثته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين المادية والثقافية والفكرية ... يُعَدّ بمثابة وعاء كبير يحمل ثقافة عن الشعوب والحضارات ويحفظ كيان الأمة وبقائها واستمرارها، فمسألة التراث تشكل عنصرا محوريا في حياة شعب وحضارة، لأن التراث ينتمي لأمة ما وهو جزء من هويتها التي تشكل ملمحها التي تميزها عن باقي الأمم وطريقتها الخاصة في التنمية والازدهار، باعتبار أن كل أمة تصنع تراثها الخاص، وذلك بالاعتماد على المخزون الثقافي والتراث الخاص))[٤] ،ثانياً وفي الاصطلاح يعرف التراث: ((ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساس من قوامه الاجتماعي و الإنساني والسياسي والتأريخي والخلقي يوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه)) [٥] ، وبهذا نخلص إلى ((أن كلمة التراث لم ترد في المعجم العربي بالمفهوم الثقافي والحضاري الذي عرفت به دلاليا في العصر الحديث والمعاصر ؛ بل وردت الكلمة بمفهومين : أحداهما مادي يتعلق بالتركة المادية ، وما له علاقة بالأصول والمنقولات ، والثاني معنوي يرتبط بالحسب والنسب ، بيد أننا نفهم أن علماءنا المحدثين وظفوا التراث بمفهوم أخر ،وهو : إن التراث كل ما خلفه الأجداد للأحفاد على صعيد الأدب والمعارف والفنون والعلوم ، أو هو بمثابة الذاكرة الثقافية والحضارية والروحية والدينية التي تبقى للأبناء والأحفاد من أجدادهم وآبائهم ، ويعني هذا أن الدلالة الحديثة للتراث بمثابة توظيف مجازي للدلالة المعجمية القديمة))[٦] ، وبهذا فإن المفهوم اللغوي يختلف عن المفهوم الاصطلاحي ،فقد اكتسبت هذه الكلمة في الخطاب العربي المعاصر معنى آخر ، فصارت تدل على الموروث الثقافي وفي هذا الصدد نجد الدكتور رمضان الصباغ يعرف التراث بأنه الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني ، وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة ، وتراثنا هو الموروث عن السلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة وغيرها ،أي أن تراثنا هو الموروث في

كل أنحاء العالم ، القصص والحكايات وتاريخ الأشخاص وما ظهر من قيم وما عبر عن هذه جميعا من عادات أو تقاليد أو طقوس[٧] ،يمكن القول إن التراث مفهوم واسع يتضمن البيئة الطبيعية والثقافية ، ويتضمن المعالم التي لها قيمة استثنائية تاريخية أو فنية أو ثقافية وأدبية ،إذاً التراث ما يتركه الأجداد والآباء للأبناء أو ما خلفته الأجيال السالفة لأجيال الحالية من تراث مادي أو غير مادي ويضم التراث الفكري ،والأدبي، والعادات ، والتقاليد، والمعتقدات ، والمعارف.

المورد الثاني : التراث العربي

يتجسد عطاء الأمة العربية فيما تركته من مضامين زاخرة بالقيم الثقافية والاجتماعية والخلقية ، بإمكاننا أن نستعين بها في مواصلة الركب الحضاري؛ فهو ((ما خلفه لنا السلف من آثار علمية وفنية وأدبية، مما يعد نفيساً بالنسبة إلى تقاليد العصر الحاضر وروحه)) [٨]،وفي ضوء التعريف السابق للتراث، فإن بعض الباحثين يرى التراث على أنه ليس مجرد تراكم خبرات ومعارف وكتب؛ لكنه اعتراف أمام الذات والعالم، اعتراف بوجود، اعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي والنفسي، وهو ليس الماضي الحي من التراث فحسب؛ بل إنه يعكس فضلاً عن الخلفية الحضارية للمجتمع الاستعداد المتجدد في الأمة لتجاوز نفسها باستمرار. [٩]

اذا التراث العربي يعني تجارب السلف المنعكسة على الآثار ، وما زال لها تأثير حتى عصرنا الحاضر ويمكننا القول: هو أحد عناصر الثقافة التي تتناقل من جيل إلى جيل ، ويمكن الإشارة هنا إلى أنّ المضمون الأصلي للمفهوم انتقال مع عبر الزمن؛ وهو خلاصة خبرة المجتمع مع تفاعل البيئة ، وهو كيفية التعامل مع التحديات التي واجهته في مسيرته التاريخية عبر حضارته، ومن هنا نستطيع القول بأن ما تورثناه من ثقافية عربية استطاعت أن تنقل صورة حيه من جيل إلى جيل ،وأن تنقل خبرات المجتمع وقيماً وعادات كانت سائدة، وكذلك المعتقدات والمعارف لهذا المجتمع ،وقد شكّلت الشخصيات التي تداولتها الأمثال عنصراً أساسياً في تفعيل هذا الدور وترسيخه عبر ما عرف عنها حيث كانت هناك شخصيات عده حقيقية واسطورية وخيالية وأخرى ذكورية وانثوية عاشت في الذاكرة العربية ، ونقلت صور خالدة عن ذلك المجتمع إلى يومنا هذا [١٠] .

وبناءً على ما تقدم، يمكن القول إن التراث بمختلف أبعاده التاريخية والثقافية والدينية والاجتماعية قد أسهم إسهامًا فاعلًا في تشكيل المادة الأدبية شعراً ونثراً، بوصفه رافدًا مهمًا لاستحضار الماضي وربطه بالحاضر، وتعزيز التواصل المعرفي والثقافي بين الأجيال، وقد تجلى هذا الحضور في الأمثال العربية من خلال توظيف الشخصيات التراثية التي أسهمت في إثراء الدلالة وتعميق المعنى، مستندة إلى ما اكتسبته تلك الشخصيات من شهرة ، ومكانة في الوعي الجمعي، وما ارتبط بها من صفات أو أحداث جعلتها جديرة بأن تكون مضربًا للأمثال.

وقد عمد منشئو الأمثال إلى المزاوجة بين الماضي والحاضر عبر استدعاء هذه الشخصيات واستثمار رموزها ودلالاتها؛ بهدف إبراز أبعاد فكرية أو اقتصادية أو دينية أو أخلاقية، بما يثير انتباه المتلقي ويعزز تفاعله مع مضمون المثل، ومن ثمّ أصبحت الشخصية التراثية أداة تعبيرية فاعلة تُسهم في تكثيف المعنى وترسيخه في الذهن، لما تحمله من حمولة رمزية وثقافية راسخة.

ومن هذا المنظور، لا يُنظر إلى التراث بوصفه مجموعة عناصر متفرقة تنتمي إلى مجالات ثقافية متباينة، بل بوصفه منظومة متكاملة ومترابطة تتداخل مكوناتها وتتكامل فيما بينها، فهو حصيلة ما تورثه الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة من منجزات مادية ومعنوية، بما يجعل الماضي قوة فاعلة في تشكيل الحاضر ورافدًا أساسًا لاستشراف المستقبل، لذلك حرص صانع المثل العربي على توظيف الشخصيات التراثية واستحضارها في بنية المثل، لتظل صورتها حية في ذهن المتلقي، وليتحقق من خلالها الربط بين التجربة الماضية والواقع الراهن، بما يمنح المثل عمقًا دلاليًا وأثرًا تداوليًا أكثر رسوخًا وتأثيرًا [١١] ، ويعمد منشئ المثل إلى استحضار هذه الشخصيات والتصريح بأسمائها؛ لتكون صورةً ذهنيةً واضحة تُقرِّب المعنى إلى الأذهان وتُجسِّد المراد بصورة أكثر تأثيرًا ووضوحًا، ويهدف من ذلك إلى ترسيخ الدلالة في النفوس، وكشف الحقائق وإزاحة ما يكتنفها من أوهام وظنون، كما تنطوي هذه الأمثال على مقاصد ودلالات متعددة تمتد إلى أعماق التجربة الإنسانية، إذ تستثمر ما تحمله تلك الشخصيات من رموز ومعانٍ راسخة في الوعي الجمعي، فتسهم في تثبيت القيم والأفكار في الأذهان، وتمنح المضمون قوةً إقناعيةً وأثرًا دلاليًا أكثر رسوخًا وفاعلية[١٢]، لم يكن اختيار الشخصيات التراثية في الأمثال العربية اختيارًا عشوائيًا أو اعتباطيًا، بل جاء نتيجة وعيٍ دقيق بخصوصية هذه الشخصيات ومكانتها في الذاكرة الجمعية العربية، فاستحضار شخصية معينة في المثل يرتبط بما عُرفت به من صفات أو مواقف جعلتها جديرة بأن تكون رمزًا لمعنى مخصوص، الأمر الذي يسهم في تحقيق الغاية الدلالية للمثل ويمنحه مزيدًا من الأصالة،والعمق،والشمول.

ويتجلى ذلك في المثل القائل: «أبلغ من قُسّ»، والمقصود بـ «قُسّ» هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك الإيادي، الذي عُرف بفصاحته وبلاغته وحكمته، فارتبط اسمه بالقدرة البيانية والتميز الخطابي [١٣]، حتى عُدَّ من أشهر خطباء العرب في الجاهلية، وقد خلد التاريخ اسمه بما اشتهر به من خطب بليغة اتسمت بجمال الأسلوب وقوة التأثير، ولا سيما خطبه التي كان يلقيها في الأسواق الموسمية، فذاع صيته وأصبح عَلَمًا في البلاغة والخطابة، وقد بلغت شهرته في هذا المجال حدًّا جعل اسمه مضربًا للمثل في الفصاحة والبيان، حتى غدا معيارًا تُقاس به قدرة الخطباء والمتكلمين، ولذلك يُقال في وصف الشخص البليغ: «أبلغ من قُسّ»، أي إنه بلغ منزلة رفيعة في الفصاحة والبيان، استنادًا إلى الصورة الذهنية الراسخة التي يمثلها قُسّ بن ساعدة في الوعي العربي، ومن هنا خلدت الأمثال العربية هذه الشخصية بوصفها رمزًا من رموز البلاغة والخطابة، لما كان لها من أثر بالغ في المجتمع العربي وقيمه الثقافية، وانطلاقًا من ذلك، تكتسب دراسة الشخصيات التراثية في الأمثال العربية أهمية خاصة؛ لأنها تكشف عن آليات بناء الدلالة في المثل، وتبرز أثر هذه الشخصيات في ترسيخ المعاني والقيم داخل الثقافة العربية [١٤]، يقوم المثل على صيغة التفضيل «أبلغ»، وهي صيغة تدل على المفاضلة والمقارنة، إذ يُراد بها وصف شخصٍ بلغ درجة عالية من الفصاحة والبيان حتى شُبِّه بقُسّ بن ساعدة، الذي كان يمثل النموذج الأعلى للبلاغة في المخيال العربي، ومن ثمّ فإن المثل لا يقتصر على الإخبار عن صفة البلاغة، بل يضخمها ويؤكدها من خلال الإحالة إلى شخصية تراثية ذات مكانة مرموقة، ومن الناحية الدلالية، يكشف المثل عن المكانة التي احتلتها البلاغة والخطابة في المجتمع العربي، إذ

كان البيان من أبرز معايير التفوق الاجتماعي والثقافي، لذلك اختيرت شخصية قُسّ بن ساعدة لتكون مرجعًا تُقاس به مقدرة المتكلمين والخطباء، فتحولت من شخصية تاريخية إلى رمز ثقافي تتجسد فيه قيمة الفصاحة ، ويكشف المثل كذلك عن وظيفة الشخصيات التراثية في الأمثال العربية، إذ لم تُستدعَ لمجرد التذكير بأصحابها، وإنما لتكون أدوات رمزية للتعبير عن القيم الاجتماعية والثقافية، فشخصية قُسّ بن ساعدة تمثل هنا سلطة بلاغية ومعيارًا للبيان، الأمر الذي جعلها تتجاوز إطارها التاريخي لتصبح رمزًا خالدًا للفصاحة والخطابة في الثقافة العربية.

المورد الثالث: مفهوم الشخصية التراثية

في ضوء ما تقدم من حديث عن مفهوم التراث لابد من بيان ما المقصود بالشخصيات التراثية ، والشخصية كدراسة تُعد بحراً لا ينضب، فمنذ خلق الإنسان ومشاركته في الحياة الاجتماعية واتصاله بها ،بدأت تتشكل لديه اتجاهات وميول وعادات وقيم وسماتُ خلقيةٌ وعقليةُ واجتماعية، وبما أن الشخصية نتاج ومحصلة تبلورت وتكونت نتيجة عوامل عدة، منها: ما هو وراثي ، ومنها ما هو مكتسب إذن هي تنشأ وتنمو وتتبلور بمرور الزمن منذ الطفولة وحتى النضوج، ومن ثم تتكون لها سمات خاصة تتسم بها وتميزّهُا من غيرها من الشخصيات، فالسمات صفات تؤثر في سلوك الفرد وتميزه من غيره من الأفراد [١٥]، والشخصية هي : ((كل مشارك في أحداث الحكاية، سلباً أو إيجاباً ...، وهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها، وهي أهم العناصر الأساسية المكونة للخطاب الروائي والقصصي لدورها الرئيس في صناعة الأحداث وتشكيلها، فالشخصية مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة، و القاص لا يسوق أفكاره وقضاياه منفصلة عن محيطها الحيوي؛ بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع، فالأفكار تحيا في الأشخاص وتحيا بها الأشخاص))[١٦]،فالشخصية التراثية شخصية حقيقية عاشت في عصر ما استطاعت هذه الشخصية التأثير بالمجتمع بصورة ايجابية أو سلبية حتى سارت مسرى المثل ، والأمثال العربية مليئة بالشخصيات التراثية التي عبرت عن حاله ما في المجتمع، أو عن جانب من جوانبها بسبب ما عرف عن هذه الشخصية كان تكون هذه الشخصية رمزاً للكرم كقولهم: ((أَجْوَدُ مِنْ حَاتم))[١٧]، فقد عرفت هذه الشخصية بالكرم ؛وهي أحدى الصفات الايجابية التي كان العرب يتفاخرون بها ، وهو أكرام الضيف وأيضاً هناك شخصيات كانت تحمل جانباً سلبياً ومن هذه الشخصيات هبنقة كقولهم :((أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَةَ)) [١٨] يضرب المثل في الحمق ، وهو للعبرة والموعظة ، والأمثال العربية استطاعت الاتكاء على نماذج إنسانية ملتحمة مع حدث ما ، فيقوم قائل المثل بتوظيف تلك الشخصيات بوصفها رمزاً أو إشارة أو دلالة مستغلاً ما تعنيه تلك الشخصية من إيحاء ، وما تصنعه من أجواء تعمق الفهم لدى المتلقي، والشخصيات التراثية التي وظفت داخل الأمثال كانت شخصيات شهيرة في مصادرها التراثية ،إما لكونها رمزاً إيجابياً أو سلبياً، أو عبر الأمثال استطاعت الشخصيات بالإفصاح عن نفسها، فيظهر سلوك هذه الشخصية ،وانفعالها وأفكارها وثقافتها عبر ذكر قصة المثل، وطريقة تقديم الشخصيات في الأمثال ؛ هي طريقة تقديم الشخصية على لسان شخصية أخرى تعرف بمنشئ المثل ، واستعمال هذه الشخصيات من قبل منشئ المثل ؛هو لوضع المتلقي أمام تجربة

مملوءة بالأحداث التي سجلها التاريخ وعرفها المجتمع العربي ، ويعي تماماً أن هذه الشخصيات تشكلّ رموزاً لجانب ما ، فقولهم أجود من حاتم قيل في وصف الشخص المعني بالكرم ، فجعله أفضل من حاتم الطائي الشخصية الشهيرة بالكرم ، فالموقف الذي عبره عنه المثل يتطلب تجربة مماثلة تصوغه، وتنقل معناه فوظف هذه الشخصية لوجود وشائج قربى بينه وبين حاتم إلا وهو الكرم إذ جعل هذه الشخصية ميزاناً للكرم إذ يوزن أي فعل كرم صادر من شخصية معينة بكرم حاتم .

المورد الرابع : أهمية الشخصيات التراثية في تشكيل الهوية الثقافة

تُعَدّ الأمثال جزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي لأي بلد ، ولما كان المجتمع العربي صاحبَ فكر و ثقافة واسعة ، فلابد من أن يخلدّ هذه الشخصيات التراثية التي كانت اساساً في تشكيل هذه الثقافة ، أن الشخصيات التراثية هي شخصيات ارتبطت بالثقافة العربية ،والتاريخ الشعبي للمجتمع العربي ، وتمثل جزءاً من الهوية العربية الثقافية والتراثية ،وقد حملت هذه الشخصيات قصص وحكايات جسّدت داخلها عبر ومواعظ وحكم ، فمنها ما استطاعت أن تعكس جانباً ايجابياً مثل: الحكمة ،والبلاغة، والكرم، والوفاء ،إلى جانبها هناك شخصيات مثّلت الجانب السلبي ،منها : الحمق والطمع والكذب ، وكان يراد منها العبرة والموعظة ، وكلا الجانبين كان يضرب من أجل توجيه المتلقي ، وإرشاده للطريق السليم ، ولترسيخ القيم المثلى والعليا التي أرادها أن تشيع بمجتمعه ، فلا يخلو مجتمع من جوانب سلبية إلى جانب الجوانب الإيجابية، فقد أصبحت هذه الشخصية جزءاً من التراث العربي الذي ينقل عبر الأجيال ، وقد جسّدت الأمثال شخصيات حقيقية ،مثل: لقمان الحكيم، وقس بن ساعدة، والشنفري ،والأحنف بن قيس، وسحبان وائل ،والخنساء، وحاتم الطائي، وزرقاء اليمامة وغيرها الكثير من الشخصيات التي عرفها المجتمع العربي ،وشاع ذكرها فقد كان لهذه الشخصيات دور هام في ترسيخ الهوية الثقافية عبرة تكرار هذه الأمثال على ألسنة الناس في الحياة اليومية مما يجعلها جزءاً من وعيهم الجمعي والثقافي عبر البحث عن هذه الشخصيات وتاريخها الثقافي، والاجتماعي ،والعودة إلى الماضي للبحث عن الاسباب في شهرة هذه الشخصيات ناقله معها أفكاراً وحكمً وتجارب الأجيال السابقة، فالأمثال لم تكن مجرد كلمات يتداولها الاشخاص فيما بينهم بل هو خلاصة تجارب السابقين ، للمثل دور هام في إبراز الخصوصية الثقافية للمجتمعات ونقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل[١٩]

،وقد كرس المثل القيم والعادات السائدة في المجتمع العربي عبر هذه الشخصيات ،وفي حقيقة الأمر الأمثال لا تنقل الواقع الاجتماعي فحسب بل تعمل على إعادة إنتاجه وترسيخ الذات الاجتماعية ،إن تلك المقولات التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية، ويعدونها من الثوابت التي نتجت عن الممارسة والخبرة الطويلة لا يزال تأثيرها واضحاً، على الرغم من النهضة الفكرية والرغبة في التحرر [٢٠] ، وبناءً على ما تقدم، يمكن القول إن الأمثال تؤدي دورًا محوريًا في ترسيخ الهوية الثقافية للمجتمعات، ولا سيما تلك التي تستند إلى شخصيات تراثية ذائعة الصيت؛ إذ تجسد هذه الشخصيات منظومة من القيم والعادات والتجارب الإنسانية المشتركة التي توارثتها الأجيال عبر الزمن، وقد أسهم تداول الأمثال على ألسنة الناس في نقل المعارف والخبرات من جيل إلى آخر، الأمر الذي عزز استمرارية الهوية الثقافية وساعد على المحافظة عليها.

وتُعدّ الأمثال من أبرز الوسائل التي أسهمت في نقل الحكمة والمعرفة؛ لما تتميز به من إيجاز ووضوح وقدرة على التعبير عن الأفكار والمعاني العميقة بأسلوب سهل ومؤثر، كما أن الشخصيات التراثية التي استُحضرت في هذه الأمثال غالبًا ما تستند إلى وقائع وتجارب حقيقية، وهو ما أكسبها قدرًا كبيرًا من المصداقية والقبول في الوعي الجمعي، وجعلها أكثر فاعلية في توجيه السلوك وترسيخ القيم والعادات الاجتماعية.

ومن ثمّ، لم يقتصر دور هذه الشخصيات على إثراء الدلالة الفنية للمثل، بل تجاوز ذلك إلى الإسهام في تعزيز التواصل الثقافي بين الأجيال، وترسيخ الذاكرة الجمعية للمجتمع، بما تحمله من قيم ومعانٍ شكلت جزءًا أساسًا من هويته الحضارية والثقافية.

المورد الخامس: الشخصية التراثية بين صون العادات وتجليّات القيم

التراث هو رمز الحضارات والأمم التي مضت إذ نجد السابقين قاموا بكتابة ما يميز زمنهم من قيم الشعوب الروحية من حيث نضجه ، فتم نقل هذه الأحداث التي جرت آنذاك، وأبرز الشخصيات التي عاصرت ذلك الزمن وصفاتها، فكان هذه الشخصيات هي المرآة العاكسة لتلك القيم والعادات[٢١]، ولابد من الإشارة إلى أن الأمثال من أهم الفنون النثرية التي استطاعت أن تنقل هذه القيم والعادات إذ كان لها أثر في نقلها عبر العصور، فكانت الوعاء الذي حافظ على انتشار هذه القيم واستطاعت الحفاظ على القيم الاخلاقية والإنسانية التي تجسدت ، فنقلت هذه الأمثال صورةً حيةً للقيم والعادات المتوارثة عبر الأجيال بكل ما جاءت به من شخصيات التي ذكرتها سواء أكانت حقيقية أم خيالية أم اسطورية أم ذكورية أم انثويه استطاعت ترسيخ هذه القيم في المجتمع العربي ،إذ كان هذا المجتمع وما زال إلى يومنا هذا منبع للقيم الأخلاقية الفاضلة ،و على الرغم من أنه لا يخلو مجتمع من قيم أخلاقية ذميمة إلاَّ أَن الأمثال حاولت الحد من مثل هذا النوع من الأخلاق عبر انتقاد هذه الشخصيات ونبذها في المجتمع ،وقد أشتهر العرب بهذه القيم ، ومنها الشجاعة والوفاء والكرم ،والحمية ،والصدق، والتواضع ،والعدل ،والصبر ،والحلم ، إذ أهتم العرب بالأخلاق السامية ؛لأنها تُعدّ أساس المجتمعات الإنسانية ،((والأمثال العربية مليئة بالقيم الأخلاقية المتداولة بين العرب ، قيم يعرفها الإنسان منذ القدم حتى الآن ،وتخص بالصفات الخاصة لزمنها البشر من كل نوع ومن كل مكان)) [٢٢].

وقد تعاملت هذه الأمثال مع النفس، ثم مع الناس وهي قيم قوليه وفعليه، فاعلة في التأثير على المجتمع ؛ لذا حرص العلماء والمهتمون على حفظها وتدوينها في كتبهم وموسوعاتهم قديما ، ودراستها وتحليلها حديثا ، وقد وجد طوائف المؤدبين والمعلمين في المثل سبيلا للتأديب عبر ما حملته من قيم وفضائل اخلاقية [٢٣]،ويقول الجاحظ(٢٥٥هـ) في ذلك : ((وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل أمثال عدة سائرة، ولم يكن الناس جميعا ليمتثلوا بها لما فيها من المرفق والانتفاع))[٢٤]، وأخذت طائفة من الأمثال تجسد هذه القيم عبر شخصيات شاعت ، واشتهرت بهذه القيم كما في الكرم الجود إذ أصبح كعب رمز لذلك ، ومن الشخصيات التي عرفت بالجود قولهم ((أَجْوَدُ مِنْ كَعْبِ بْن مَامَةَ))[٢٥] ،هو كعب بن مامة إيادي، ومن حديثه أنه خرج في ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط في شهر ناجر فضلوا فتصافنوا ماءهم ،وهو أن يطرح في القعب حصاة ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة، وتلك الحصاة هي المقلة، إنسان بقدر واحد، فقعدوا للشرب، لما دار القعبُ

فانتهى الى كعب أبْصَرَ النمري يحدد النظر إليه، فآثره بمائه، وقال للساقي.. اسقِ أخاكَ النمري فشرب النمري نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر ، فتصافنوا بقية ماءهم، فنظر إليه النمري كنظرة أمسه، فقال كعبك قوله أمس، وارتحل القوم و قالوا يا كعب ارتحل، فلم يكن به قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقيل له.. رِد كعبُ إنك وارد، فعجز عن الجواب، فلما يئسوا منه تخيلوا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه ففاظ، فقال أبوه مامةُ يرثيه..

ما كان من سُوقَةٍ أَسْقَى على ظَمإٍ خمراً بماء إذا ناجُودُهـا بَــرَدَا
من ابن مَامَةَ كعبٍ حين عَـيَّ بـه زَوُّ المنيــةِ إلا حـــــــرة وَقَدَا
أوفى على الماء كـعب ثم قيل له: رِدْ كعبُ إِنَــكَ وَرَّادٌ فمـا وَرَدَا[٢٦]

جسَّدت الأمثال العربية شخصيةً تُعدُّ رمزًا من رموز الكرم والجود، وهي شخصية كعب بن مامة، الذي آثر غيره بالماء حتى هلك عطشًا، وقد قدَّمت هذه الشخصية صورةً حيةً متكاملة العناصر داخل بنية المثل، بما يسهم في استثارة ذهن المتلقي واستحضار مشهدٍ حركيٍّ يُبرز الظروف التي عاشتها الشخصية والموقف الذي واجهته، وتمثل شخصية كعب بن مامة نموذجًا حقيقيًا ترك أثرًا واضحًا في المجتمع العربي من خلال مواقفه النبيلة، إذ تصرَّف بما ينسجم مع القيم العربية الأصيلة القائمة على الإيثار والنجدة، ففضَّل غيره على نفسه في أشدِّ لحظات الحاجة، ومن ثمَّ غدا كعب بن مامة مضربًا للمثل في الجود والكرم والإيثار، حتى جعل منه منشئ المثل معيارًا تُقاس به هذه الخصال الحميدة، وهكذا استمرت أسماء الشخصيات التراثية التي اقترنت بصفاتٍ مميزة تتردد على ألسنة الناس، محافظةً على حضورها في الذاكرة الثقافية عبر الأجيال، وقد صيغ المثل على أسلوب التفضيل من خلال لفظة أجود، وهي تدل على بلوغ الموصوف درجة عالية من الكرم، حتى يُقاس بكعب بن مامة الذي استقر في الوعي الجمعي بوصفه نموذجًا مثاليًا للسخاء، ولا يراد من المثل المفاضلة الحقيقية بقدر ما يراد المبالغة في وصف الجود وتأكيده، إذ وظفت شخصية تراثية ذات شهرة واسعة لإضفاء قوة دلالية على المعنى.

ومن الناحية البيانية، يقوم المثل على التشبيه الضمني؛ إذ شُبِّه الشخص الموصوف في كرمه بكعب بن مامة من غير التصريح بأداة التشبيه أو وجه الشبه، مما أكسب التعبير إيجازًا وقوةً في التأثير، كما أن استدعاء الشخصية التراثية أسهم في تكثيف الدلالة، لأن ذكر الاسم وحده كفيل باستحضار ما ارتبط به من صفات ومواقف في ذهن المتلقي.

ومن الشخصيات التي جسّدت هذا الجانب قولهم: ((أنت أسخى من حاتم طيء))[٢٧] ، و((أَجْوَدُ مِنْ حَاتِم))[٢٨] ، و((انت حاتمياً اليوم))[٢٩] ، فقد ضربت هذه الأمثال للجود والكرم وهي صفه ضد البخل ، وحاتم الطائي كان رمزاً جسد هذه الصفة، وهو ((حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني أبو عَدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجوده، كان من اهل نجد))[٣٠] ، وقد عرفه العرب بجوده وكرمه ،وقد ذكرت لنا المصادر الكثير من قصص الكرم التي ارتبطت بحاتم الطائي ؛ لذلك عندما أرادوا أن يصفوا الكرم والجود لم يجدوا أفضل من حاتم الطائي، فأراد أن يبالغ بكرمه ،فقال أجود من حاتم الطائي ، والكرم

والجود ظاهرة اجتماعية مشهورة عند العرب ، فحاول المثل إبراز هذه الصفة سعوا إلى غرسها في النفوس ، وهذه القيمة من القيم المهمة لأي مجتمع، وأحد أعمدة البناء التي تحمله وتحميه من الانهيار ،وكثيرا ما ارتبطت قيمة الكرم بقيمة العفة ، فالكريم هو ذلك العفيف النفس الذي اكتملت فيه صفه المروءة، و تكونت في نفسه صفات الكرامة، والشهامة ، وعزة النفس ، وإباء الضيم ،وفعلا استطاع المثل ترسيخ هذه الصفات عبر التمثل بتلك الشخصيات للمثل العليا للمجتمع العربي ، فأصبحت هذه الشخصيات الميزان التي يشبه بها لهذه المثل العليا[٣١]، وحاتم الطائي وقد ذكرناه أيضا في مواضع أخرى من هذا البحث وعرفنا بهذه الشخصية العربية التي عرفت بالكرم والجود حتى اصبحت مضربا للمثل ، ويقال أنه أكرم العرب ، وكان العرب يمدحون الرجل الكريم فيقولون أكرم من حاتم وأنت أسخى من حاتم طيء إذ أصبحت هذه الشخصية رمز للكرم والبذل والعطاء لكل محتاج، ، فهذه الشخصية وليدة بيئة تتغنى بالكرم ، وربما زاد بعضهم عليه ، فالبيئة العربية تعظم وتجل الكرماء ، تقوم البنية الدلالية للمثل على أسلوب التفضيل (أجود)، الذي يُبرز تفوق الممدوح على غيره في صفة الكرم، مع جعل حاتم الطائي مرجعًا للمقارنة، وبهذا يختزل المثل قصةً طويلة من المواقف والأخبار المرتبطة بحاتم في عبارة موجزة ذات دلالة كثيفة، تستحضر في ذهن المتلقي صورة الكرم المطلق وما يرتبط به من قيم العطاء والإيثار، كما تكشف الشخصية التراثية في هذا المثل عن دور الأمثال في حفظ الذاكرة الثقافية للمجتمع العربي؛ إذ أسهم تداول المثل في تخليد اسم حاتم الطائي ونقل سيرته وقيمه من جيل إلى آخر، حتى غدا رمزًا ثقافيًا يتجاوز شخصه التاريخي ليجسد قيمة الجود في المخيال العربي.

ومن الصفات الأخلاقية الأخرى التي شاع تداولها بين العرب واقترنت بأسماء شخصيات عربية اشتهرت بها صفة الوفاء بالعهد إذ تُعدُّ من القيم الراسخة في المجتمع العربي قبل الإسلام، وقد جاء الدين الإسلامي ليُقر ويعزز ويؤكد على أهميتها ، اختصت الكلمة عند العربي بقيمة رفيعة ووزن بالغ، فإذا صدرت عنه اصبحت التزاماً يتعين الوفاء به وإلا عرض نفسه للذم والتشهير بين الناس ، وكانت الكلمة ميثاقاً وعقداً لا يحتاج الى توثيق كتابي أو شهود ، وقد نال الوفاء منزلة شبه مقدسة في الوعي العربي سواء على المستوى الفردي أم القبلي؛إذ كان العربي قد يبذل دمه ويضحي بالغالي والنفيس ؛ بل ربما بأقرب الناس لديه وفاءً بالعهد ومن ثم ترسخ الوفاء في وجدانهم بوصفه قيمة عظمى وشرفاً رفيعاً يُعدّ الإخلال به سبباً في حلول النوائب في القوم ، فقالوا: إذا ذهب الوفاء نزل البلاء؛ فكان أن برّوا بوعودهم، وقبّحوا من يخلف وعده علانيةً في الأسواق وعيّروه أمام الناس، وكان الغدر ممقوتاً لديهم، ومعرةً يتجافون عنها، وإذا ما غدر أحدهم رفعوا له لواءً بالأسواق ليشهِّروا به، وفي ذلك يقول الحادرة (قطبة بن محصن)، متفاخراً ومعاتباً أنهم لم يغدروا، ولم يُرفع لهم لواءُ غدرٍ بين الناس:

أَسُمَيّ ويحكِ هل سمعتِ بغَدرةٍ رُفع اللواءُ لنا بها في مجمعِ

ويحتفظ الموروث العربي بنماذج نبيلة من صور الوفاء بالعهد، وإن كان لهذا ولغيره استثناءات لا يُستبعد وجودها في البيئة العربية قبل الإسلام.[٣٢]

ومن أبرز هذه الصور قصة وفاء الشاعر العربي السموأل بن عادياء الأزدي (ت٥٦٠م)، صاحب حصن الأبلق في تيماء، والذي يُضرِب به المثل في الوفاء، فيقال: ((أَوْفَى مِنْ السَّمَوأَلِ))، ذلك أنه ضحَّى بولده على أن يُفَرِّط في دروع كانت ملوك كندة يتوارثونها، استودعها أمانةً عنده أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي الشاعر المشهور (ت ٥٦٥م)، وقد طلبها ملك الحيرة الحارثُ بن أبي شَمِر الغَسّانيّ وألَحّ في طلبها، فلمّا رفض السموأل تسليمها إليه، أرسل إليه جيشاً فحاصر قصره، أو حصنه، الذي تحصّن فيه، وكان ابنه خارج القصر، فأخذه الحارث الغساني رهينة عنده، وساومه على دفع الدروع، التي في عهده، أو قتل ابنه، فآثر الوفاء بالعهد وظل محافظاً عليه حتى وهو يرى فلذة كبده يُذبح أمام عينيه، وأعطاها ورثة امرئ القيس[٣٣] وقال قولته المشهورة: [٣٤]

وفيتُ بأدرع الكِنـدي إنـــــي ... إذا ما خَانَ أقوَامٌ وفيْتُ

بَنَى لِي عَادِيَا حِصناً حَصِيناً ... وَبِئْراً كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

وَقَالُوا إنه كَنْزٌ رَغِيـــــــبٌ ... وَلاَ وَاللهِ أغْدِرُ مَا مَشَيْتُ

وهكذا دفع السموال ثمناً غالياً بالفعل وفاءً لعهده، فما أعظم الوفاء بالعهد عنده، وفي هذا المثل تجسيد لأروع الصور التي مثل الشخص العربي لأعظم الصفات التي كان يتحلى بها المجتمع العربي إذ كان يعيب على الرجل اذ خالف عهده، فالوفاء هو الالتزام بالعهد الذي قطعه الشخص على نفسه أمام الآخرين ،وكان لهذه الصفة قيمة عظيمة عند العرب ، يُجسِّد المثل قيمة الوفاء بالعهد، وهي من القيم التي عظَّمها العرب، حتى غدا اسم السَّموأل رمزًا ثقافيًّا للوفاء، يُستحضر كلما أُريد المبالغة في وصف شخصٍ بهذه الخصلة الحميدة. وظَّف المثل اسم التفضيل «أوفى» للمبالغة في إبراز صفة الوفاء، كما اعتمد الكناية والتشبيه الضمني، إذ تجاوز اسم السَّموأل دلالته الشخصية ليغدو رمزًا ثقافيًّا للوفاء وحفظ العهد، مما أكسب المثل كثافةً دلاليةً وقوةً تعبيريةً أسهمتا في شيوعه وتداوله بين الناس.

وقد ضربت الكثير من الأمثال التي جسدت الوفاء ،ومن الشخصيات التي جسدت هذه الصفة ، يقال في المثل((أَوْفَى مِنْ فُكَيْهَةَ)) تعد فُكَيهة بنت قَتَادة بن مَشْنوء خالة طَرَفَةَ بن العبد مثالاً بارزاً للوفاء؛ إذ كانت أم طرفة وَرْدَة بنت قَتَادة أختاً لها ، وقد أشار حمزة الأصفهاني إلى نسبها، مؤكدًا مكانتها في بني قيس بن سعدية، وتجلّى وفاؤها في حادثة السليك بن السلكة، حين أغار على بني بكر بن وائل، ثم اضطرّ إلى الفرار بعد أن كاد يُكشف أمره، فلجأ إلى فكيهة مستجيرًا، فآوته وأدخلته تحت درعها حمايةً له، غير عابئةٍ بما قد يترتب على ذلك من خطر، ولمّا لحق به القوم، وكشفوا موضعه، حاولوا انتزاعه منها؛ لكنها استصرخت أهلها، فجاء إخوتها وابنها للدفاع عنها، وأصرّت على حمايته رغم تهديدهم، وقد ظلّ السليك يذكر صنيعها، مشيرًا إلى ما لقيه من شدّة في حمايتها له، حتى قال مفتخرًا بوفائها: «أدخلتني تحت درعها»

لَعَمْرُ أبِيكَ وَالأَنبَاء تَنْمِـــــى ... لَنِعْمَ الجَارُ أخْتُ بَنِي عـــوارا

عَنَيْتُ بِهَا فُكَيْهَةَ حينَ قَامَتْ ... كَنَصْلِ السَّيْفِ فَانْتَزَعُوا الخِمَارَا

مِنَ الخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أخَاهَا ... وَلَمْ تَرْفَعْ لِوَالِدِهَا شَنَـــــــــــارَا[٣٥]

يُصوِّر المثل جانبًا أخلاقيًا إيجابيًا في المجتمع العربي، يتمثل في قيمة الوفاء، إذ عُرف العرب بالالتزام بعهودهم وإجارة من استجار بهم، كما يستحضر المثل شخصيةً أنثوية تجلَّت فيها هذه القيمة بأسمى صورها، حتى بلغت الغاية في الوفاء والإخلاص، وقد صرَّح المثل بالمقصد الرئيس من خطابه، وهو الإشادة بالوفاء بوصفه قيمةً أخلاقيةً رفيعة، مع المبالغة في إبراز هذه الصفة لدى الشخصية النسوية التي جسدت نموذجًا مثاليًا للمرأة العربية ، وجاءت الصورة الفنية صادقةً ومعبرةً عن حرص المرأة على ترسيخ القيم الأخلاقية والمحافظة عليها، أما النسق المضمر في المثل فيبدو أكثر عمقًا؛ إذ إن هذه الشخصية لم تسعَ إلى مدح نفسها، ولم تُعلن عن معروفها أو تتباهَ به، شأنها في ذلك شأن الكرام الذين يؤدون أفعال الخير دون انتظار الثناء أو المقابل، كما أنها لم تمنَّ على من أحسنت إليه، بل آثرت الصمت والتواضع ،ومن جهة أخرى، جاء تخليد هذا الموقف الأخلاقي على لسان السلطة الذكورية، التي وجدت نفسها في موضع الضعف بعد وقوعها في الأسر وإشرافها على الهلاك، الأمر الذي أفضى إلى تبادل الأدوار بين الطرفين، ومن ثمَّ أصبح وقوف الرجل عند هذه المرأة والإشادة بوفائها تصويرًا لمسيرة الوفاء واعترافًا بانتهائها إلى نموذجٍ إنسانيٍّ جديرٍ بالتخليد[٣٦].

وأيضا من الأمثال التي جسدت شخصيات أخرى عرفت بالوفاء قولهم : ((أَوْفَى مَنْ خُمَاعَةَ)) ((أَوْفَى مِنْ عَوْفِ بنِ مُحَلِّمٍ))

((خُمَاعة ابنة عَوْف بن محلم من شواهد الوفاء عند العرب أجارت مَرْوَانَ القَرَظِ ، إذ غزا مَرْوَان القَرَظِ بكر بن وائل، فَتقَصُّوا أثرَ جيشِه، حتى ظفر به أحدهم وهو لاَ يعرفه، فساقه الى أمه، فلما دخل عليها قَالَت له أمه :إنك لتَخْتَالُ بأسيرك كأنك جئت بمَرْوان القرظ فَقَالَ لها مروان: وما تَرْتَجِينَ من مروان؟ قَالَت :عظم فدائه، قَالَ :وكم ترتجين من فِدَائِه؟ قَالَت :مائة بعير، قَالَ مروان :ذاك لك على أن تؤديني إلى خَمَاعَةَ بنت عَوْف بن مُحَلَم، وكان السبب في ذلك أن لَيْثَ بن مالك المسمى بالمنزوف لما مات أخذت بنو عَبْس فرسَه وسَلَبه ثم مالوا إلى خِبَائه فأخذوا أهلَه وسلَبوا امرأته خُمَاعَةَ بنت عَوْف بن مُحَلم، وكان الذي أصابها عَمْرو بن قاربٍ وذُؤَاب بن أسماء، فسألها مروان القرظ :مَنْ أنتِ؟ فَقَالَت :أنا خُمَاعة بنت عَوف بن مُحَلم فانتزعها من عمرو وذُؤَاب لأنه كان رئيسَ القوم، وقَالَ لها :غَطِّي وجْهَك، والله لاَ ينظر إليه عربي حتى أردك إلى أبيك، ووقع بينه وبين بني عبس شر بسببها، ويُقال :إن مروان قَالَ لعمرو وذؤاب: حَكِّماني في خُماعة، قَالاَ :قد حكَّمناك يا أبا صهبان، قَالَ :فإني اشتريتها منكما بمائة من الإبل، وضمَّها إلى أهله، حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كُسْوَتها وأخْدَمها وأكرمها وحَمَلَها إلى عُكاظ، فلما انتهى بها إلى منازل بني شيبان، قَالَ لها :هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك؟ فَقَالَت :هذه منازل قومي وهذه قُبَّةُ أبي، قَالَ :فانطلقي إلى أبيك، فانطلقت فخبرت بصنيع مروان، فَقَالَ مروان فيما كان بينه، وبين قومه في أمر خُمَاعة ورَدَّها إلى أبيها:

رَدَدْتُ عَلَى عَوْفٍ خُمَاعَةَ بَعْدَ مَا ... خَلاَهَا ذُؤَابٌ غَيْرَ خَلْوَةِ خَاطِبِ

وَلَوْ غَيرُها كَانَتْ سَبِيَّةَ رُمْحِهِ ... لَجَاء بِهَا مَقْرُونةً بِالذَّوَائِبِ

وَلكِنَّهُ أَلقَى عَلَيْهَا حِجَابَهُ ... رَجَاء الثَّوَابِ أَوْ حِذَارَ العَوَاقِبِ

فَدَافَعْتُ عَنْهَا نَاشِباً وَقَبِيلَهُ ... وَفَارِسَ يَعْبُوبٍ وَعَمْرَو بنْ قَارِبِ

فَفَادَيْتُهـا لمَّا تبَيَّنَ نصفـهـــــا بِكُومِ المتَالَي وَالعِشَارِ الضَّوَارِبِ
صُهَابِيَّةٍ حُمْرِ العَثَانِينِ وَالــذَرى مَهَارِيسَ أمثالِ الصُّخُورِ مصاعِبِ

، فلهذا قال :ذاك لك على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف بن محلم فَقَالَت المرأة: ومَنْ لي بمائة من الإبل؟ فأخذ عُوداً من الأَرض فَقَالَ :هذا لك بها، فمضَتْ به إلى عوف بن مُحَلم، فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به، وكان عمرو وجد على مروان في أمر، فآلى أن لا يعفُو عنه حتى يضع يَدَه في يَدَه، فَقَالَ عَوْف حين جاءه الرسول :قد أجارتهُ ابنتي، وليس إليه سبيل، فَقَالَ عمرو بن هند :قد آليت أن لاَ أعفو عنه أو يضَعَ يَده في يدي، قال عوف :يضع يده في يدك على أن تكون يدي بينهما، فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك، فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوَضَعَ يده في يده ووضع يده بين أيديهما، فعفا عنه، وقَالَ عمرو :لاَ حُرَّ بوادي عوف، فأرسلها مثلاً، أي لاَ سيد به يناويه، وإنما سمى مروان القَرَظِ لأنه كان يغزو اليمنَ وهي منابت القَرَظِ))[٣٧] ، ولم تقتصر سِمة الوفاء بالعهد على رجال العرب فحسب ، بل شاركتهم النساء إذ عرفن بحفظ العهود وصونها، فصبحن مضربا للأمثال في هذا الخلق ، وقد ارتبط كلٌّ من خُماعة وعوف بن ملحم بهذه الخصلة حتى أصبحا معيارًا يُقاس به الوفاء، فتحوَّلت شخصيتاهما من أفرادٍ عاديين إلى رمزين ثقافيين تستحضرهما الذاكرة الجمعية كلما أُريد التعبير عن الثبات على العهد والالتزام بالوعد، وتقوم البنية الدلالية للمثلين على أسلوب التفضيل «أوفى»، الذي يُبرز مكانة الشخصية في هذه الخصلة ويجعلها مرجعًا للمقارنة، فالمتلقي لا يستحضر الاسم مجردًا، بل يستدعي ما ارتبط به من مواقف وتجارب جسَّدت الوفاء في صورته المثلى، وبهذا يختزل المثل سيرةً كاملةً في عبارة موجزة ذات دلالة مكثفة، تجمع بين الإيجاز وقوة التأثير.

((أَوْفَى مِنَ الحَارِثِ بنْ عُبَادٍ))

((الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب البكري، كنيته أبو بجير، حكيم جاهلي، كان شُجاعاً، من السادات، شاعراً،انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب [٣٨] يُقَال :إنه كان أسَرَ عديَّ بن ربيعة ولم يعرفه في يوم قِضَّةَ، ، فَقَالَ له :دُلَّنِي على عَدِيِّ بن ربيعة، فَقَالَ له :إن أنا دَلَلْتُكَ عليه أتؤمنني؟ قَالَ :نعم، فقال: فليكن عوف بن محلم ضامنًا لهذا العهد، فطلب من الحارث بن عباد أن يجعل عوفًا كفيلًا له، فضمنه عوف على أن يؤمّنه الحارث إن هو دلّه على عدي، عندئذٍ قال الأسير: أنا عديّ، فوفّى الحارث بعهدِه وأطلق سراحه، وقَالَ الحارث في ذلك)) [٣٩]:

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدٍّ وقَدْ أشْـ عَبَ للموتِ وَاحْتَوْتْهُ اليَدَانِ

وتروى في قصة هذا المثل صورة أخرى من صور الوفاء تجسدت في شخصية من الشخصيات العربية التي عرفت بالعديد من الصفات الحسنة وكان من بينها الوفاء بالعهد حيث جعل هذه الشخصية ميزاناً لهذه الصفة ومضربا للمثل بإخلاصه ووفائه والقيم السامية التي امتاز بها العربي ، أبرز المثل قيمة الوفاء من خلال توظيف اسم التفضيل «أوفى» الدال على المبالغة، وجعل من الحارث بن عبّاد نموذجًا يُحتذى به في هذه الخصلة، فغدا

اسمه كنايةً عن الوفاء وتشبيهًا ضمنيًّا لكل من اتصف به، مما أضفى على المثل عمقًا دلاليًّا وقوةً تعبيريةً عززتا حضوره في الثقافة العربية.

ومن نماذج الوفاء قولهم :-

((أَ وْفَى مِنْ أَبِي حَنْبَلٍ))

ومن الصور التي جسّدت الوفاء عند العرب أبو حَنْبل الطائي، ومن خبره أن امرأ القَيْس نزل به ، ومعه أهلُه وماله وسلاَحُه، ولأبي حنبل امرأتان :جَدَلِيَّة، وتَغْلَبيَّة، فَقَالَت الجدلية، هذا رزقٌ ساقه الله اليك، ولاَ ذِمَّةَ له عليك، ولاَ عهد، ولاَ جِوَار، فأرى أن تنتفع به وتطعم قومك منه، وقَالَت التغلبية : رجل تَحَرَّمَ بك واستجارك واختارك دون غيرك، فوجب عليك حمايته ، وحفظة والوفاء له، فقام أبو حنبل إلى جَذَعَة من الغنم فاحتَلَبَها وشرب لبنها ثم مسح بطنه وحجَل ،معلنا تمسكه بحماية ضيفة وصون عهده، ثم قَالَ:

لَقَدْ آلَيْتُ أعذر فِي جِذَاعٍ وَإن مُنِّيتُ أمَّاتِ الرِّبَاعِ

لأنَّ الغَدْرَ فِي الأقْوَامِ عَارٌ وَإنَّ الحرَّ يَجْزِى بِالكُرَاع

فَقَالَت الجَدَلية وقد تالله ما رأيت كاليوم سَاقِي وَافٍ ، فَقَالَ أبو حنبل هما ساقا غادر شر فذهب مثلاً [٤٠] : رأت ساقيه حَمِشَتَيْنِ:

والمثل جاء في سياق الثناء على هذه الشخصية ، كما هو الحال في غيرها من الشخصيات السابقة التي ذكرت في السياق نفسه ، إذ استثمر المثل اسم التفضيل في تكثيف الدلالة على صفة الوفاء، وجعل من أبي حنبل نموذجًا مثاليًّا لهذه القيمة الأخلاقية، حتى تجاوز اسمه خصوصيته الفردية ليصبح رمزًا ثقافيًّا للوفاء، مما منح المثل قدرةً إيحائيةً أسهمت في رسوخ معناه واستمرارية حضوره في الذاكرة العربية، والوفاء عادات وتقاليد يتوارثونها جيلا من بعد جيل، تشكل كياناً ووجدان الأمة، وتُعدّ كقانون ملزم لكل أفرادها، يتضح من خلال دراسة الموروث الثقافي العربي أن المجتمع العربي، في مرحلتي الجاهلية والإسلام، ظل متمسكًا بمنظومته القيمية والعادات الاجتماعية التي تناقلتها الأجيال، والمتمثلة في مكارم الأخلاق كالكرم والشجاعة والوفاء وسائر الفضائل الإنسانية، ولما كانت المحافظة على هذه القيم وترسيخها تتطلب آليات فاعلة لنقلها من جيل إلى آخر، برزت الأمثال العربية بوصفها إحدى أهم الوسائل الثقافية والتربوية التي أسهمت في حفظ هذا التراث القيمي، فقد جسدت الأمثال صورًا متنوعة لهذه العادات والتقاليد، وكشفت عن سمو مقاصدها وأبعادها الأخلاقية، كما حفزت الأفراد على الاقتداء بالنماذج التي تجسد قيم الإيمان والواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والشجاعة والوفاء، مما جعلها أداة مؤثرة في توجيه السلوك الاجتماعي وترسيخ القيم في الوعي الجمعي، ولكن الأمر لم يسلم حتى وأن كانت العرب تمتاز بالأخلاق الحسنة كانت هناك بعض الأخلاق السيئة والرذائل التي يتمثل بها بعض الأشخاص؛ لذلك ذكرتهم الأمثال لأخذ الموعظة والعبرة منهم ،والشخصيات التي عرفتها الأمثال هنبقة إذ عرف في الحمق فيقال: ((أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَةَ)) [٤١] هَبَنَّقَةَ ذو الودعات واسمه يزيد بن ثروان من بني قيس بن ثعلبة، ضرب به المثل بالحمق ، ويروى أنه ضل بعير له فجعل ينادي: من وجد بعيري فهو له، فقيل له: لم تنشد عليه، وقد جعلته لمن يجده؟ قال فأين لذة الوجدان إذن؟ فتقول العرب أحمق من هنبقة عندما يبلغ بها

الحال مراتب متقدمة لوصف سوء التصرف والعاقبة التي تأتي من قبل الحمقى، ولابد من الإشارة بأن العرب تضرب هذا المثل متخذه من شخصية هنبقة أنموذجاً يجب تجنبه؛ وذلك لكون هذه الصفة من الصفات الذميمة فالغاية توجيه المتلقي للابتعاد عن هذه الصفة عبر شخصية جسدت هذه الصفة الذميمة لان العرب عرفوا بالحلم والحكمة ومعالجة الأمور بعقلانية مما جعل ذكر هذه الصفة وذمها لتجنبها.

وبذلك نستطيع القول بأن الأمثال استطاعت عبر تجسيد الشخصيات التراثية ترسيخ تعزيز الهوية الثقافية ، وتعزيز القيم المجتمعية من خلال أجيال عبر سيرهم وانجازاتهم حيث اسهمت في نشر القيم والعادات والمبادئ الأخلاقية وإلهام الأفراد للمحافظة على التراث والهوية العربية ، إذ شكلت قصصهم مرجع مهما لفهم القيم الثقافية المتوارثة، والقيم الأخلاقية ،الوفاء، والكرم ، والشجاعة ،وقد شكّلت هذه المساهمة الفعالة جوانب عدة منها:-

١- تعزيز الهوية العربية الثقافية.

٢- نقل التجارب و المواعظ والحكم عبر المثل.

٣- تعزيز الأخلاق الفاضلة والسلوك الاجتماعي المحبب والمرغوب في المجتمع العربي عن ذكر الأخلاق الفاضلة التي انماز بها العرب.

٤- نقل العادات و الأفكار والقيم من جيل إلى جيل آخر.

٥- ذم الجانب السلبي بطريقة فكاهية عن طريق النقد الاجتماعي الفعال وتعزيز روح الفكاهة.

المورد السادس : الأمثال العربية وقيمتها في التراث العربي

الأمثال العربية تعد المنهل العذب الذي يقصد حين دراسة تراث الأمة الفكري والاجتماعي واللغوي، فلكلّ مثل من الأمثال قيمته على المستوى الدلالي والمستوى النحوي والمستوى الصرفي والمستوى البلاغي، وأن دراسة هذه الأمثال مهم لحفظ التراث العربي، لذا دعت الحاجه إلى الاهتمام بتلك الأمثال لما لها من أهمية في حفظ تراث الأمة اللغوي، وينقل لنا الزمخشري(ت٥٣٨هـ) قوله في الأمثال: ((هي قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمتها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها وبلاغتها التي اعربت عن القرائح السليمة ، والركن البديع إلى ذرابه اللسان وغرابه اللسن، حيث اوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنت فأغنت عن الإفصاح))[٤٢] ،يكشف الزمخشري عن قيمة الأمثال ويدعو إليها عبر إشارته إلى أنها منبع الفصاحة والبلاغة، وقد عدت الأمثال كنزاً تراثياً وثراء ادبيا وثقافيا ؛ لأنها عبرت عن تجارب طويلة في حياة العرب ونقلة صورة وافية عن تقاليدهم وعاداتهم وثقافتهم ، وكيفية تعاملهم مع مختلف الظروف التي عاشوها قرون متعاقبة، وقد تناقل الناس هذه التجارب من جيل إلى جيل، وعبروا عنها بمختلف الأساليب فجاءت هذه الأمثال في صور متنوعة ، وعلى درجة راقية من المستوى الفكري والإبداع الفني فضلاً عن توجيه المجتمع وإصلاحه، وتهذيب سلوك الأفراد بما تتضمنه من نصائح ومواعظ يستنير بها الناس في مسيرتهم الحياتية[٤٣]، ونظراً للأهمية البالغة للأمثال نجدها في معظم كتب التراث العربي ككتب التفسير، والمعاجم اللغوية، وأمهات الأدب ، والمسامرات والأخلاق وكتب اللغة والنحو، وكتب الحكمة ، والفلسفة والطباع، والتاريخ، والسير، وكتب البلاغة والموسوعات الثقافية ، و مصنفات الأمثال البحتة، وقد عني علماء الأدب

واللغة والتفسير عند العرب منذ القدم بجمعها وتصنيفها وتبويبها وشرحها، واجعلوا منها مادة تأديبية تعليمية وتربوية ، مما يعكس مدى وعيهم بأهمية هذا الجنس الأدبي الذي يجمع في الحقيقية الفطرية ، والمعرفة المكتسبة اذا الأمثال موروث تقليدي حافظ للتراث العربي كاشف لصورة حياة العرب ظلت تتوارثه ألسنة الأجيال المتعاقبة جامع لعادات وتقاليد أمه بأكملها لهذا كان هذا الجنس الأدبي ذا أهمية في التراث العربي [٤٤] .

المورد السابع : الشخصيات التراثية وتأثيرها في النثر العربي.

الشخصيات التراثية هي جزء من التراث العربي ، والموروث الثقافي واللغوي الذي يتداوله العرب من جيل إلى جيل عن طريق الحديث ،والقصص، والأساطير ،والأدب ،والأمثال يمثل أحد أهم المصادر في تفاعل الأجيال الماضية والحالية مع بعضها البعض ،ومع البيئة التي يعيشون فيها ، فكان لهذا التراث أهمية بالغة في الحفاظ على الثقافة العربية الموحدة الجامعة أن التراث العربي والمحافظة عليه أمران مهمان لإبراز الخصوصية الثقافية ، التي تُعدّ من القضايا الرئيسة في حياة الشعوب [٤٥] تبرز أهمية الشخصيات التراثية بكونها عنصراً مهماً لنقل العادات ، والتقاليد السائدة في البيئة العربية عبر العصور والمحافظة على هذه القيم والعادات والتقاليد السائدة إلى يومنا هذا، وقد جسّدت الشخصيات التراثية التي ارتبطت بالأمثال مكانة مميزة في مسار المفاهيم التي ارتبطت بحياة الناس ومؤثرات وجودهم وتاريخهم، فقد شكلت صوراً حاكت هذه المفاهيم والقيم عبر تناقلها مواعظ وحكم الأجيال إذ ظلت محتفظة بصورة حية لهذه الشخصيات؛ لما تحمله من صفات قد تكون ايجابية ، فتشجع الآخرين على القيام بها والتمثل لها ،وقد تكون سلبية غير محبب بها ؛ ولكن لذكرها عبرة وموعظة لتجنبها، وعدم التمثل بها وأصبحت هذه الشخصيات أداة رئيسة لنقل المفاهيم الأفكار بين الأفراد والمجتمعات، فقد اسهمت في تشكيل الذاكرة الجمعية للأدب العربي ؛ وذلك عن طريق نقل الموروث الثقافي والأخلاقي التي ارتبط بالتقاليد ، ومفاهيم وعادات القبائل العربية، فقد كان منبراً لتسليط الضوء على القيم المتعلقة بالكرم والمروءة والعدالة، والشجاعة ، والتي شكّلت صورة بارزة في الأدب العربي بصوره عامة ،والأمثال بصورة خاصة، أن تجسيد هذه الشخصيات ضمن الأمثال ، وبلاغة لغة المثل جعلته يحمل دلالة تعكس الموروث الثقافي العربي في تلك الحقبة حيث نلاحظ بلاغة المثل وايقاعه قد أسهم في جعله أكثر رسوخاً في الأذهان مع تجسيد الشخصية كان له أهمية للتفتيش عن قصة هذه الشخصية ، ما أبرز صفة جسدتها وما هو السبب وراء اطلاق هذا المثل والبحث عن قصة هذه الشخصية وسردها لفهم المثل ومعرفة أبطال هذه القصة وبهذا فهي انعكاس حقيقي للمجتمع والبيئة والحياة والوجود، بأصالة مميزة ، مليء بالرموز والحكايات، وقد ارتبط بالتاريخ و الأساطير ارتباطاً وثيقاً، فهو قريب من الحياة والمجتمع ، وتعبيراتهم المختلفة ،إنه نتاج فني بين حياة الانسان والعمل والطبيعة ، ويخضع إنتاجه الفني لقواعد معينة محكومة بالميراث الثقافي والاجتماعي والمعايير والقوانين التي يحددها المجتمع، وعادات وتقاليده ذلك المجتمع [٤٦] ، ومن هنا يمكن القول بأن هذه الشخصيات كان لها الفضل في ترسيخ القيم والعادات والتقاليد الصحيحة لمجتمع متكامل نافع .

المورد الثامن : انواع الشخصيات التراثية في الامثال العربية

وجدت الشخصية في العمل السردي- قصص الأمثال- وحتى في المثل نفسه ذكر شخصيات صريحة بعينها، كانت هذه الشخصيات على مستويات مختلفة، منها الملك ومنها العامة ، منها سياسية ومنها دينية ، وأخرى تاريخية وبعض ذكورية والآخر أنثوية وإلى غير ذلك من الشخصيات التي ذكرتها الأمثال العربية ، مما يمكن أن يكون موجود في البيئة الفعلية، من حيث أثرها وتأثيرها ، نجد في قصة المثل هناك شخصيات محورية ومركزية إلى جوارها شخصيات تختلف في مركزيتها إلى أن تصل إلى شخصيات مهملة لا يوجد لها أثر فاعل، كما يبدو في النص إلا أن هذا لا يعني أن هذه الشخصيات الثانوية غير فاعلة على الحقيقة ،إذ لا يمكن أن يكون وجود للشخصية الرئيسة إلا في ظل وجود هذه الشخصيات الثانوية وبفضلها[٤٧]،اعتمدت الأمثال في تشكيلها على عدة أمور من بينها توظيف الشخصيات التراثية لزياده التفاعل والتأثير في المتلقي ، وقد امتلأت الأمثال العربية بهذه الشخصيات التي عكست القيم والعادات والتقاليد ويمكن تقسيم هذه الشخصيات الى :-

الشخصيات التاريخية

وهي الشخصيات الحقيقية التي خلدها التاريخ لامتيازها بجانب ما كأن يكون فكرياً أو ثقافياً أو اجتماعياً تُعدّ الأمثال جزءاً مهماً من التراث الثقافي واللغوي ، وقد تطور هذا الفن عبر التاريخ وحمل لنا عبر وتجارب السابقين، فهناك شخصيات خلدتها الأمثال لدهائها او لحلمها أو لعقلها ، ومثال على ذلك قولهم:

((أعقل من إياس)) يروى عن إياسُ بن معاوية بن قرة المزني أحد القضاة المشهورين بالذكاء والفطنة ؛ إذ تولى قضاء البصرة في عهد عمر بن عبد العزيز نوادر تدل على ذكائه ؛ منها أنه سمع نباح كلب لم يره ، فقال : هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر فنظروا فكان كما قال ،فقيل له: في ذلك فقال: سمعت عنده نباحه دوياً من مكان واحد، ثم سمعت بعده صدى يجيبه فعلمت انه عند بئر، ومن نوادر زكنه أيضاً أنه رأى أثر اعتلاف بعير فقال: هذا بعير أعور ، فنظروا كان كما قال، فقيل له من أين قلت ذلك؟ فقال لأني وجدت اعتلافه من جهة واحدة وقالوا من نوادر ذكائه أنه رأى قوماً يأكلون تمراً ويلقون النوى تفرقا، فرأى الذباب يجتمعن في موضع التمر ولا يقربن موضعاً آخر ، فقال إياس: ان في هذا الموضع حيه ، فنظروا فوجدوا الأمر كما قال، فقيل له: من أين علمت؟ قال: رأيت الذباب لا يقربن هذا الموضع، فقلت: يجودنه ريح سم فقلت حية، وقال حمزة: عن إياس الكثير من النوادر ، وقد كتب الميداني عليه كتاباً وسماه كتاب زكن إياس [٤٨] ، يقوم المثل على صيغة التفضيل في لفظة (أعقل)، إذ يقارن بين شخصٍ ما وبين إياس الذي استقر في الوعي العربي رمزًا للعقل والذكاء، فيدلّ على بلوغ الممدوح مرتبةً عاليةً من الحكمة والفطنة، ومن الناحية البلاغية، يعتمد المثل على الإيجاز؛ إذ جاء في تركيب قصير، لكنه يحمل دلالة واسعة، لأن ذكر شخصية إياس يستدعي في الذهن صفات العقل والرأي السديد وحسن التقدير، فكان المثل أبلغ من التصريح بهذه الصفات مجتمعة، كما يتضمن المثل تشخيصًا لشخصية تراثية تحولت إلى رمز ثقافي يُستشهد به للدلالة على قيمة اجتماعية وأخلاقية هي العقل، مما يعكس تقدير العرب للحكمة ورجاحة الرأي.

،وأيضاً من الاشخاص الذي خلدهم المثل هو الأحنف' فيقال(أَحْلَمُ مِنْ الأَحْنَفِ) [٤٩]، هو الأحنف بن قيس معاوية بن الحصين التميمي البصري سيد تميم البصرة كلها ، أحد العظماء الدهاة الفصحاء الفاتحين ، يضرب له المثل في الحلم ، فقد ضرب المثل بالأحنف لبيان جمال خلق الحلم، وآثاره الطيبة وحسن صحبة الحليم، الذي يتحمل الشتم والاستهزاء والجفوة من الناس ، ويردّ عليهم بحلم وأناة وصبر، فيكون أكبر ضريبة يؤديها الحلم ؛ هو الذل عن طواعية وترفعاً عن الصغائر؛ وهو ما لا يقدر عليه كُلَّ أحد ؛ ولذلك تجد الحلماء الحقيقيين قليلين[٥٠]

جاء المثل بصيغة التفضيل في لفظة «أحلم» للدلالة على أن الموصوف قد بلغ مرتبةً عاليةً في الحِلْم تفوق ما عُرف عن الأحنف بن قيس من سعة الصدر وكظم الغيظ، وقد اعتمد المثل على الإيجاز، إذ اختزل معنى الحِلْم كله في استدعاء شخصية واحدة أصبحت رمزًا لهذه الخصلة ، ومن الناحية البلاغية، يقوم المثل على التلميح إلى الصفات المرتبطة بالأحنف دون التصريح بها، فمجرد ذكر اسمه يستحضر في ذهن المتلقي معاني الأناة، والتسامح، والحكمة في معالجة المواقف، وهذا الإيجاز أكسب المثل قوةً دلاليةً وتأثيرًا أكبر من الوصف المباشر فهاتان الشخصيتان من الشخصيات التاريخية التي خلّدها المثل، فكلاهما كان له خلق قويم أنماز به عن غيرهم ، فجعلهما ميزاناً تقاس بهم هذه الصفات ويشبهم بهم .

الشخصيات الدينية

المثل وسيلة للتعبير عن التجارب الحياتية والأخلاق الفاضلة، فتوظيف هذه الشخصيات في الأمثال كان لغرض التعبير عن القيم الأخلاقية ، وتُعدّ هذه الشخصيات بوصفها مصدراً للحكمة ورجاحة العقل فكانت قدوة المجتمع وهي شخصيات ذات مكانة دينية كان لها تأثير في الثقافة العربية والإسلامية ،فالأمثال تصوير لحياة منشئها وملامح شخصيته العامة، وتكشف للباحثين والقراء حقائق مهمه، وتقف على معطيات لم يكن لها عهد بها من قبل، حوت الأمثال العربية القديمة على قيم تربوية متنوعة، تتعلق بالتعامل مع النفس، ومن ثم مع الناس فهي قيم قولية وفعلية، فاعلة في التأثير على المجتمع؛ لذا حرص العلماء والمهتمون بحفظها وتدوينها في كتب وموسوعات قديماً ودراستها وتحليلها حديثا ،ويقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ) لم يكن الناس جميعا ليمتثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ،وكثير من تلك الأمثال وردت قبل الإسلام لكنه وافق اخلاقه، ومنها ما جاء بعده فتشرب من حكمته[٥١] ،ومن الشخصيات التي عرفت بهذا الجانب لقمان الحكيم، فيقول المثل ((أَحْكَمُ مِنْ لُقْمَان))[٥٢] ،ولقمان من الشخصيات التي اشتهرت في الحكمة ، والرزانة بعد الأنبياء والمرسلين وبعض منهم رفعه إلى مرتبة النبوة ، وقد قصّ علينا القرآن بعض حكمته في سورة سماها باسمه، قد عرف العرب شخصيه لقمان الحكيم قبل بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، توسعوا كثيرا في ذكر تفاصيل شخصية لقمان الحكيم، وخلاصة ما جاء في ترجمة لقمان الحكيم :إنه لقمان بن باعوراء هو لقمان بن عنقاء بن سروت ذكره السهيلي، وقد ذهب إلى أن لقمان ابن اخت أيوب، وذهب مقاتل إلى أنه كان ابن خالة أيوب ، كان من أولاد آزر، عاش ألف سنة وأدركه داوود عليه السلام وأخذ عنه العلم ، وكان يفتى قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى، وأي كان فأنه شخصية لقمان كانت معروفة عند العرب قبل نزول القرآن ، إذ تداولتها قبائل العرب، حتى الشعوب

المجاورة لجزيرة العرب، ولذلك خلدت الأمثال بذكر هذه الشخصية بالحكمة والموعظة ورجاحة العقل والعلم والمعرفة[٥٣] ، يقوم المثل على صيغة التفضيل في لفظة «أحكم»، التي تفيد بلوغ الموصوف منزلةً رفيعةً في الحكمة تتجاوز ما عُرف عن لقمان من رجاحة العقل وسداد الرأي، وقد جاء المثل في تركيب موجز مكثف، مما أكسبه قوةً تعبيريةً ودلاليةً كبيرة، ومن الناحية البلاغية، يعتمد المثل على استدعاء شخصية تراثية رمزية؛ فذكر لقمان لا يحيل إلى شخصه فحسب، بل إلى منظومة من القيم المرتبطة بالحكمة والتجربة والخبرة ، ولذلك فإن المثل يحقق دلالته بطريق الكناية، إذ يُراد من ذكر الشخصية ما اشتهرت به من صفات، كما يكشف المثل عن تقدير المجتمع العربي للحكمة بوصفها قيمةً أخلاقيةً وعقليةً عليا، فجعل من لقمان معيارًا يُقاس عليه الحكماء.

الشخصيات الاجتماعية العامة

تعرضت الأمثال إلى أغلب جوانب الحياة المختلفة فلمثل بطبيعته يوفق الظروف والأحوال ، فالأمثال لم تترك جانبا من جوانب الحياة إلاّ وادركت وتقصت وعبرت عباراتها الموجزة ، فتعرضت لحياة الفرد وعلاقاته بأفراد مجتمعة ، وقد مثّلت هذه الأمثال بشخصيات عامة عرفت في ذلك الوقت [٥٤] ،والشخصية العامة هي كيان اجتماعي يحظى بمنزلة خاصة ، ويؤدي أثراً اجتماعياً ، وقد جسّدت الأمثال هذه الشخصيات لكونها فعالة في المجتمع ، وقد استطاعت أن تثبت ذاتها بأفعالها التي تركت بصمة في ذلك الوقت ، مما جعلت الأجيال يتوارثونها، وقد غنيت الأمثال العربية بمثل هذه الشخصيات التي مثلت فئات مختلفة من المجتمع العربي، وعكست الحكمة والقيم الثقافية المتوارثة عبر الأمثال ومن بين هذه الشخصيات المتوارثة الجاهل، والاحمق ،والفقير، والمحتاج ،والمرأة، والصديق، والعدو ، ومن الجوانب الأخلاقية التي جسّدتها الشخصيات العامة (عرقوب)،فيضرب المثل في خلف المواعيد، فيقال((مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ))[٥٥] ،وهذا القول كناية عن المواعيد الكاذبة تشبيها لها بمواعيد عرقوب وهو رجل يَعدُ ويكذب في وعدة فضرب به المثل في خلف الوعد ، وأيضا تقول العرب ((أَخْلفُ مِنْ عُرقُوب))[٥٦] ، ((فالرجل دائم خلف المواعيد لا يكاد يصدق في وعده ، قصة المثل عرقوب : رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئاً ،فقال له :إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، فلما أطلعت أتاه فقال له: حتى تصير بلحا، فلما أبلحت أتاه، فقال له: حتى تصير رطبا، فلما اتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدها، ولم يعطه شيئا، وقيل: عرقوب هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ويقول بنو سعد: هو منّا، وقيل: هو من الأوس والخزرج)) [٥٧] ،وقال علقمة (الطويل): [٥٨]

وَقَدْ وَعَدَتْكَ مَوعداً لو وَفتْ بِهِ كمَوعدِ عُرقُوبٍ أخاه بِيثربِ

وقال كعب بن زهير(البسيط): [٥٩]

كانتْ مَواعِيدُ عرقوب لها مَثَلاً وما مَواعِيدُها إلاّ الأباطيلُ

اشتهرت شخصية عرقوب في التراث العربي بخلف الوعد وعدم الوفاء به، حتى غدت رمزًا لهذه الصفة الذميمة، فضرب العرب بها المثل في الإخلاف ونقض العهود، ولما كان خلف الوعد من السلوكيات التي استهجنها العرب وقبَّحوها، فقد احتقروا من اتصف بها، وجعلوا اسم عرقوب مثلًا سائرًا بين الناس يُطلق على من يغلب عليه الإخلاف في قوله وعدم الالتزام بوعوده.

ويشير المثل إلى قصة عرقوب الذي وعد أخاه أن يمنحه نخلةً، إلا أنه ظل يماطله كلما طالبه بتنفيذ وعده، متذرعًا في كل مرة بعذرٍ جديد حتى أخلف وعده ولم يفِ به، ومن ثمَّ أصبح عرقوب نموذجًا للشخصية التي عُرفت بنقض العهود بعد إبرامها، فتحول اسمه إلى مضربٍ للمثل في خلف الوعد، وإلى معيارٍ تُقاس به هذه الصفة ومحلٍّ تشبيهٍ لمن اتصف بها.

ومن الأمثال التي عكست البعد الاجتماعي في الثقافة العربية تلك الأمثال التي استمدت مادتها من شخصياتٍ اشتهرت بمواقفها وسلوكها، فغدت نماذج تُجسِّد القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي، ((أَطْمَعُ مِنْ أَشْعَبَ))، وشخصية اشعب يضرب بها المثل في الطمع واشعب هو رجل من أهل المدينة ،وهو أشعبُ بن جبير مولى عبد الله بن الزبير وكنيته أبو العلاء، وقد أشتهر في التراث العربي بالطمع حتى غدا مضرباً للأمثال فيها، وقد روي عن طمعه أخبار في ذلك ، فقال: اجتمع عليه يوماً غلمان المدينة يعابثونه، وكان مزاحاً ظريفاً مغنياً، فآذاه الغلمة، فقال لهم: إن في دار بني فلان عُرساً ، فانطلقوا إليه فهو انفع لكم، فانطلقوا وتركوه فلما مضوا قال: لعل الذي قلت من ذلك حق، فمضى في أثر هم نحو الموضع فلم يجد شيئاً، وظفر به الغلمان هناك فآذوه، وقال له سالم بن عبد الله: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما نظرت قط اثنين في جنازة يتسايران إلا قدرت أن الميت قد أوصى لي من ماله بشيء، وما أدخل أحد يده في منه إلا أظنه يعطيني شيئاً ، وبلغ من طعمه أنه مَرَّ برجل يعمل طبقاً فقال: أحب أن تزيد فيه طوقا، قال: ولم ؟قال عسى أن يهدي الي فيه شيء، من المعروف أن اشعب من الشخصيات الحقيقية عاش في أواخر الخلافة الأموية ، وبداية الخلافة العباسية اشتهر بالطمع عنه نوادر كثيره بالطمع [٦٠]

لقد نقلت لنا الأمثال عن طمع أشعب بأنه أحدى الشخصيات التي اشتهرت بجانب الطمع؛ وهي صفة مذمومة عند العرب ؛لأنها لا تتناسب مع حياتهم، وما اشتهر عنهم ،وقد مُثلت هذه الشخصية الفكاهية في التراث الأدبي؛ فهو أشهر من ذكرته الذاكرة الجمعية العربية الذي عرف بطمعه والبخل والشره في حب الطعام ، وفي هذه الأمثال سياقات التي توظف فيها شخصية لأمرٍ جاد ، الذي بلغت النظر في استعمال مثل هذه الشخصيات ؛هو أن الناس يتناقلون أخبارهم وصفاتها وأفعالهم ويسخرون منهم في الوقت نفسه يتقبلونها على ما هي عليه، وتوظيف مثل هذه الشخصيات في الأمثال تهدف الى نقد اجتماعي بالدرجة الأولى ،ونخلص إلى أن ذكر هذه الشخصيات يعطي دلاله فبذكر هذه الشخصيات يضيف للسامع معرفه قصة هذه الشخصية ،وربما عدد من القصص أو الأشخاص الذين ارتبطت قصتهم بقصة هذا المثل التي عرفت قديماً واشتهرت لحينها وجريانها مجرى المعرفة العامة ، وقد جسّدت الأمثال الكثير من الشخصيات التي كان لها تأثير على الواقع الاجتماعي ، وعلى البيئة العربية بشكل مباشر((فالمثل أكثر أنواع الأدب قدرة على حفظ أفكار أفراد المجتمع و سلوكه وحمله وترجمته وعاداته وتقاليده واعرافه ومعتقداته الاجتماعية ؛ فهو كوعاء يحوي ثقافة المجتمع الذي انتجها وحافظ عليها بالتداول والتناقل عبر الأجيال، والكثير من الأمثال صورة الحياة الاجتماعية ، وما يدور فيها من علاقات وتعاملات وأحداث وغير ذلك، فهي تعبر عن واقع المجتمع واعرافه وتقاليده، كما يؤدي دوراً يساهم في التأثير على السلوك الفردي والجماعي في المجتمع))[٦١] .

شخصية المرأة

المرأة ركيزة أساسية في بناء المجتمعات لها أثراً حيويًا في مختلف جوانب الحياة، سواء على المستوى الاجتماعي أو الثقافي، أو الاقتصادي، عبر مساهمتها الفعالة في دعم المجتمع، تمكّنت المرأة من تحقيق تقدم كبير في الحفاظ على الهوية الثقافية وحماية العادات والتقاليد، للمرأة دوراً اساسياً في العمل السردي، وكانت هي مرتكز العمل وأساسه، فقد جسدت دور البطولة الكثير من الأمثال العربية، فقد صور المثل نظرة المجتمع للمرأة ، إذ أدت المرأة أدواراً وظيفية تمثل انعكاساً طبيعياً لأدوارها الممكنة أو المتحققة في واقع الحياة وأيضا وضحت شخصية المرأة المشاكل الاجتماعية المتعلقة بها داخل المجتمع ، كيف عولجت، أو عرضت في النص السردي المصاحب لجملة المثل [٦٢]،ومن هذه المشاكل ما حدثتنا عنها ((الأمثال في قولهم:(أَشْأَمُ مِنْ البَسُوسِ)؛ وهي بسوس بنت منقذ التميمية للبسوس خالة جساس بن مرة بن ذهل الشيباني قاتل كليب ، التي أشعلت ناقتها حرباً ضروساً سميت باسمها، والبسوس لقب في الشؤم))[٦٣] ، ((وهذه الشخصية تعضد بواعث الشؤم فيها؛ إذ إنها تكشف عن صفة تجلب الشؤم ، وابتداء الشر بين الناس، وصيغة فعول الدالة على السجية بمعنى ان الشؤم طبع فيها يصحبها كظلها في أي مكان))[٦٤]،شخصيه البسوس جسّدت أحدى المشاكل الاجتماعية التي اشعلت نار الحرب بين قبيلتين لأعوام ،وارتبطت هذه الشخصية بصفة الشؤم من هذه المرأة ، كونها كانت الشرارة الأولى لإشعال نار الحرب، عُدت كنذير للشؤم والخراب ؛ بسبب ما جرى على العرب آنذاك من ويلات بعد ما اشعلت نيران الحرب، وقد اعتمد المثل على اسم التفضيل للدلالة على المبالغة، كما تضمن كنايةً عن الشؤم وإيجازًا مكثفًا أسهم في ترسيخ دلالته في الوعي الجمعي العربي، ومن النماذج التي جسَّدت هذا الجانب الاجتماعي ما ارتبط بالمرأة، إذ صوَّرت بعض الأمثال العربية المرأةَ تصويرًا سلبيًّا قائمًا على التشاؤم، وهو ما يتضح في قولهم:((أشأم من مَنْشِمَ)) ويقال ((أشأم من عِطرِ مَنْشِمَ)) تذكر الروايات أن مَنشمَ عطاره تبيع الطيب، وكان العرب إذا عزموا على خوض الحرب غمسوا أيديهم في عطرها تعاهدًا على الاستماتة في القتال، وألّا يفرّوا حتى النصر أو الموت، فإذا أقدموا على الحرب على هذا النحو، قيل: قد دقّوا بينهم عطر منشم»، إشارةً إلى توثيق العهد وشدّته، ثم شاع هذا التعبير حتى غدا مثلًا يُضرَب في الإقدام على الأمر الجسيم، وزعم بعضهم أن (منشم) كانت امرأة تبيع الحنوط ، و إنما سموا حنوطها عطراً في قولهم قد دقوا بينهم عطر منشم ؛ لأنهم أرادوا طيب الموتى[٦٥] ، يقوم هذا المثل على أسلوب التفضيل في لفظة «أشأم»، إذ استُعمل اسم التفضيل للمبالغة في وصف الشؤم وبيان شدته، كما اشتمل على تشبيه ضمني؛ إذ شُبِّه الشخص أو الأمر الموصوف بالشؤم بعِطر منشم الذي اشتهر بسوء العاقبة، من غير أن تُذكر أداة التشبيه أو وجه الشبه صراحةً.

ويعتمد المثل على الكناية عن الشؤم والهلاك، فذكرُ «عِطر منشم» لا يُراد به العطر ذاته، وإنما ما ارتبط به من معاني الحرب والقتل والخراب، فأصبح رمزًا للشؤم في الذاكرة العربية. ، و جسّد المثلان اعتقاد العرب بتأثير الأشياء أو ارتباطها بالأحداث المشؤومة حتى أصبحا رمزين ثقافيين يستحضران للدلالة على الشؤم وسوء العاقبة [٦٦] ،و من الشخصيات التي كست المثل معناه وجملت صورته قولهم: ((مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ)) وهي حليمة بنت الحارث بن ابي شمر، وكان أبوها وجه جيشاً إلى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم طيباً من

مركن فطيبتهم، وقال المبرد: هو أشهر أيام العرب.....))[٦٧] ،ويضرب المثل للشيء المعروف الذي لا يمكن اخفاءه ، وهذا المثل كناية عن الأمر الذي اشتهر، يعني أنه ذكر أمر كان معروفاً بين الناس، وأيضاً من الشخصيات التي ذكرت في الأمثال زرقاء اليمامة ، ومن نماذج ذلك ((قولهم: (أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءَ اليَمَامَةِ) ، يُعدّ مثل «زرقاء اليمامة» من الأمثال الصريحة الدالّة على حدّة البصيرة وصدق التنبؤ، حتى غدا كنايةً عن دقّة الإدراك وقوة الملاحظة وسرعة التقدير، فضلًا عن تحقّق الخبر الذي يُخبر به صاحبه وتُنسب اليمامة إلى امرأةٍ عُرف الموضع باسمها، وقد ذكر الجاحظ أنها من بنات لقمان بن عاد، وأن اسمها «غَنَز»، ولُقّبت بالزرقاء لشدّة بصرها، و أشار محمد بن حبيب إلى أنها امرأة من قبيلة جديس، وكانت تُبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها، فقالت: يا قوم قد أتتكم الشجر، أو أتتكم حمير، فلم يصدقوها، على مثل الرجز:

اقسم بالله لقد دب الشجر او حمير قد اخذ شيئا يجر

فلم يصدقوها، فقالت: أحلف بالله لقد ارى رجل، ينهش كتفاً أو يخصف النعل فلم يصدقوها، ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم، فأخذ الزرقاء فشق عينيها فإذا فيهما عروق سود من الإثمد وكانت أول من اكتحلت بالإثمد من العرب وهي التي ذكرها النابغة في قوله:

واحكم كحكم فتاه الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد)) [٦٨]

هي أحدى الشخصيات التي عرفت بقوة بصرها ، وأصبح يتمثل بها في قوة البصر، والذي يمتلك نظرة حادة، وبعد نظر، وزرقاء اليمامة شخصية اسطورية عربية مشهورة بقوة بصرها الفائقة ،وظّف المثل شخصية زرقاء اليمامة بوصفها رمزًا تراثيًّا لحدّة البصر، فجاء التعبير بصيغة التفضيل (أبصر) للدلالة على بلوغ الغاية في هذه الصفة، وينطوي المثل على تشبيه ضمني وكناية عن الذكاء وقوة التنبّه، إذ لم يعد البصر فيه مقتصرًا على الرؤية الحسية، بل اتسع ليشمل نفاذ البصيرة ودقة الملاحظة، مما أكسب المثل طاقةً إيحائيةً واسعة وجعله من الأمثال الدالة على الفطنة وسرعة الإدراك.

وقد جسّدت الأمثال الكثير من الشخصيات التي كان لها تأثير على الواقع الثقافي والاجتماعي وعلى البيئة العربية بشكل مباشر ، وأيضاً من الأمثال التي صورت الجانب الايجابي والأخلاقي لدى العرب أنهم اوفياء يجيرون من أجارهم ، واحتمى بهم حتى نسائهم ، فيقال في الوفاء ف ((أَوْفَى مِنْ فُكَيْهَةَ)) يدل المثل على تناهي هذه المرأة في الوفاء إذ أجارة السليك بن السلكة ، والمثل صرح بالمقصود من الخطاب إلاّ وهو الوفاء، وازاد المبالغة والتناهي في وفائها إذ جسد صورة مثالية للمرأة العربية ، حيث جاءت الصورة صادقة وغلب عليها محاولة المرأة في ترسيخ القيم والأخلاق[٦٩] ، وقد اعتمد المثل على اسم التفضيل للمبالغة في إبراز هذه الصفة، كما تضمن تشبيهًا ضمنيًا وتُعدّ (فكيهة) كنايةً عن الوفاء، إذ تجاوز الاسم دلالته الشخصية ليصبح رمزاً لهذه القيمة الأخلاقية، مما أكسبه كثافةً دلاليةً وإيجازًا بلاغيًا أسهما في شيوعه واستمراره في التداول.

كشفت الأمثال العربية عن صور المرأة المختلفة في المجتمع وكيف كانت هذه الصورة لدى العرب ، وجسدوا المرأة في أشعارهم تناولوها في أمثالهم، ومن الجدير بالذكر بأن هناك كثيراً من الأمثال التي تخص المرأة ، فبعضها ذكر هذه النساء بصورة صريحة مصرح بأسماء هذه الشخصيات ، وبعض الآخر جاء ذاكراً المرأة بصفة عامة كأن تكون أماً أو زوجةً أو ابنةً أو اختً فهو لم يذكر اسماً معيناً إنما جعلها عامة ،فالأمثال هي الموروث الثقافي لأمة بأكملها ، وقد اعتنى العرب منذ القدم بالأمثال فكان لكل جانب من جوانب حياتهم مثل يستشهد به والأمثال تحمل في طياتها فلسفة علمية وفكرية واجتماعية [٧٠] ، وتُعدّ الشخصية من المواضيع الأساسية التي ترتكز عليها الدراسات الأدبية وهي جانب مادي ملموس ولكل شخصية صفات تؤدي الى تميز الفرد من غيره من الأفراد[٧١] .

الخاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة تتبع أثر الشخصيات التراثية في الأمثال العربية، وقد جسّدت الأمثال الكثير من الشخصيات التي كان لها تأثيراً على الواقع الاجتماعي وعلى البيئة العربية بشكل مباشر إذ جعلت من هذه الشخصيات ميزان تقاس به الكرم او البخل او الحلم أوالحمق وغيرها من الصفات الحميدة أو الذميمة التي كانت معروفة في البيئة العربية ، ومن هذه الدراسة توصلنا لأهم النتائج:

١- الأمثال العربية جزء أساس من التراث العربي الذي نقل عبر الأجيال ، والتي استطاعت الحفاظ على هذا التراث.

٢- الشخصيات التراثية ؛ هي جزء من التراث العربي ، والموروث الثقافي واللغوي الذي يتداوله العرب من جيل إلى جيل عن طريق الحديث ،والقصص، والاساطير ،والأدب ،والأمثال تمثل أحد أهم المصادر في تفاعل الأجيال الماضية ، والحالية مع بعضها البعض ومع البيئة التي يعيشون فيها فكان لهذا التراث أهمية بالغة في الحفاظ على الثقافة العربية الموحدة الجامعة.

٣- كانت الأمثال مرآة تعكس عبرها صورة الحياة العربية بكل وضوح ، وكل صدق، فنقلت كل ما كان يدور من أشياء سلبية وايجابية .

٤- دراسة الشخصيات التراثية يؤكد صدق هذا الأمثال كون هذه الشخصيات هي شخصيات حقيقية موجودة في البيئة العربية ولها تأثير حقيقي على تلك البيئة.

٥- هذه الشخصيات كانت هي الأساس ومصدر للصورة المعكوسة التي تدور حولها الفكرة إذ أصبحت هي المقياس والميزان والنموذج المطالبين بتحلي بصفاته أن كان ايجابي والنموذج الي يؤخذ منه العبرة إذ كان سيء.

٦- هذه الشخصيات عكست صورة العربي من رجل وأمرأه من حيث الشجاعة والكرم والحلم ، وأيضا الحمق والغباء والبخل والجبن ، إذا هي لم تقتصر على ذكر الرجل فقط بل ذكرت الرجال والنساء بصورة عامة .

٧- وظَّفت الأمثالُ صيغةَ اسم التفضيل (أَفْعَلُ) للمبالغة في إبراز الصفات التي اشتهرت بها الشخصيات التراثية، وإظهار بلوغها الغايةَ في تلك الصفات، مما أسهم في ترسيخها في الوعي الجمعي بوصفها نماذجَ يُحتذى بها أو يُحذَّر منها.

٨- كما اعتمدت الأمثالُ على الكناية والتشبيه، إذ تجاوزت أسماءُ الشخصيات دلالتَها الفردية لتتحول إلى رموزٍ ثقافيةٍ وأخلاقيةٍ تُجسِّد قيماً ومعانيَ محددة، الأمر الذي أكسب هذه الأمثال كثافةً دلاليةً وإيجازًا بلاغيًّا، وأسهم في شيوعها واستمرار تداولها عبر الأجيال.

الهوامش

١ ينظر: عليان،٢٠٠٥.
٢ ابن منظور،١٩٥٥.
٣ الجوهري،١٩٩٩.
٤ فقهي، ،٢٠١٩-٢٠٢٠ .
٥ ابن جني، ١٩٧٠.
٦ الزهراني ،٢٠٢٤.
٧ ينظر،مريبعي،٢٠١٦.
٨ ابن خلكان، ١٩٦٨.
٩ ينظر، ابن سعيد،١٩٨٠.
١٠ ينظر ، محمود،٢٠١٩.
١١ ينظر، محمد،٢٠١٧.
١٢ ينظر ، الحسيني،٢٠٠٨.
١٣ ينظر ،الميداني ،٢٠٠٣.
١٤ ينظر ،الربيعي ،١٩٧٤.
١٥ ينظر ،عطيه و غالي،٢٠٠٥.
١٦ المحيميد ، عبد الله، ٢٠٢١.
١٧ الميداني ،٢٠٠٣.
١٨ الميداني ،٢٠٠٣.
١٩ ينظر: الزعبي ،٢٠١٨.
٢٠ ينظر:دمشق،٢٠٢٤ .
٢١ ينظر: فقهي،٢٠١٩.
٢٢ ازاده،٢٠٢٢ .
٢٣ ينظر ، بن راشد ،٢٠١٧.
٢٤ الجاحظ ، ١٩٩٨.
٢٥ الميداني ،٢٠٠٣.
٢٦ الميداني ،٢٠٠٣.

٢٧ الميداني ،٢٠٠٣.

٢٨ الميداني ،٢٠٠٣.

٢٩ الميداني ،٢٠٠٣.

٣٠ رشاد،٢٠٠٢.

٣١ ينظر ، أبو طالب،٢٠١٩.

٣٢ ينظر ، غنيم ،٢٠١٧.

٣٣ الميداني ،٢٠٠٣.

٣٤ اليسوعي، ،١٩٠٩.

٣٥ الميداني ،٢٠٠٣.

٣٦ ينظر ، فتحي،٢٠١٧.

٣٧ الميداني ،٢٠٠٣.

٣٨ أبو هلال،٢٠٠٨.

٣٩ الميداني ،٢٠٠٣.

٤٠ ينظر ، الميداني ،٢٠٠٣.

٤١ الميداني ،٢٠٠٣.

٤٢ عبد الله،٢٠١٠-٢٠١١.

٤٣ ينظر ، عيسى ، ٢٠٢١.

٤٤ ينظر ،الهدروسي، ٢٠٠٨.

٤٥ ينظر ،الإمام ،٢٠٢٣.

٤٦ ينظر ،اسماعيل،٢٠٢٣.

٤٧ ينظر ،الذهبي،١٩٩٠.

٤٨ ينظر ،الميداني ،٢٠٠٣.

٤٩ الميداني ،٢٠٠٣.

٥٠ ينظر ، يوسف، راجح ،٢٠٠٠.

٥١ ينظر ، بن راشد ،٢٠١٧.

٥٢ الميداني ،٢٠٠٣.

٥٣ ينظر ، بالمهدي ،٢٠١٤.

٥٤ ينظر ، عابي،٢٠١٦.

٥٥ الميداني ،٢٠٠٣.

٥٦ الميداني ،٢٠٠٣.

٥٧ الشريشي،٢٠٠٦.

٥٨ مكارم ،١٩٩٦.

٥٩ فاعور ،١٩٩٧.

٦٠ ينظر ، الميداني ،٢٠٠٣.

٦١ رحيم،٢٠١٨.

٦٢ ينظر، محمد،٢٠٠٥.

٦٣ الميداني ،٢٠٠٣.

٦٤ حمودي،٢٠١٧.

٦٥ ينظر ، الميداني ،٢٠٠٣.

٦٦ ينظر ، حمودي،٢٠١٧.

٦٧ الميداني ،٢٠٠٣.

٦٨ الميداني ،٢٠٠٣.

٦٩ ينظر ، حمودي،٢٠١٧.

٧٠ جاسم، ٢٠٢٢.

٧١ ينظر ، سويلم،٢٠٢١.

أولاً: الكتب :-

١- ابن جني،أبو الفتح عثمان (١٩٧٠)، سر صناعة الإعراب ، تح: حسن هنداوي ،ط١، دار القلم، بيروت .

٢- ابن خلكان ،شمس الدين أبو العباس(١٩٦٨) وفيات الأعيان،ط١، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

٣- ابن سعيد ،علي بن موسى(١٩٨٠)المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، د. ط ،دار المعارف، القاهرة.

٤- ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٥٥) لسان العرب ، ،د. ط ،دار إحياء التراث، بيروت،.

٥- أبو هلال، أنس عبد الهادي (٢٠٠٨)، ديوان الحارث بن عباد ،ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

٦- الجاحظ ، ابو عمر بن بحر(١٩٩٨)، البيان والتبيين ، ،تح: عبد السلام هارون، ط٧ ، مكتبة الخانجي ، د.ب .

٧- الجواهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تاج اللغة وصحاح العربية ،تح: إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ،لبنان ، ط١ ،١٩٩٩.

٨- الذهبي، شمس الدين الذهبي (١٩٩٠)،تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ،تح: عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩- الربيعي ،احمد (١٩٧٤)،قس بن ساعده الايادي حياته خطبة شعره ، ط١، مطبعة النعمان، النجف.

١٠- رشاد، احمد (٢٠٠٢) ديوان حاتم الطائي ، ط٣ ،دار الكتب العلمية، بيروت .
١١- الزعبي، احمد ابراهيم(٢٠١٨)، الأمثال الشعبية ومناسباتها، د .ط، دار الكتاب الثقافي النشر والتوزيع ،عمان .
١٢- الزهراني، سامي بن محمد الفقيه(٢٠٢٤) المخطوطات والتراث اللغوي، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية،ط١ ،الرياض.
١٣- الشريطي ، ابو العباس (٢٠٠٦)، شرح مقامات الحريري ،ط٢، دار الكتب العلمية ،بيروت.
١٤- عليان ،جمال (٢٠٠٥)الحفاظ على التراث ،د. ط ، سلسلة عالم المعرفة،الكويت.
١٥- فاعور، علي (١٩٩٧) ديوان كعب بن زهير،ط١ ،دار الكتب العلمية ، بيروت.
١٦- مكارم ، سعيد نسيب(١٩٩٦) ديوان علقمة بن عبدة ،ط١، دار صادر ، بيروت.
١٧- الميداني ،أبو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (٢٠٠٣.) مجمع الأمثال، تحقيق :محمد أبو الفضل أبراهيم ،د.ط، المكتبة العصرية، بيروت.
١٨- اليسوعي ،الاب لويس شيخو(١٩٠٩) ديوان السموال رواية ابي عبد الله نفطويه ،ط١ ، مطبعة الكاثوليكية، بيروت.
١٩- يوسف، محمد خير رمضان (٢٠٠٠) ، حلم الاحنف سيرته وأخلاق، ط١ ، دار ابن حزم، بيروت .

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية :-

١- عابي ،غنية (٢٠١٦) الدلالات الاجتماعية في الأمثال الشعبية منطقة أولاد عدي بقالة إنموذجاً، ، جامعة محمد بو ضياف ، (رسالة ماجستير) .
٢- عبد الله ، أحمد جاسر(٢٠١٠-٢٠١١) مجمع الأمثال للميداني دراسة لغوية دلالية ، جامعة الشرق الاوسط ، (رسالة ماجستير).
٣- فقهي ، انتصار(٢٠١٩) استدعاء الشخصيات التراثية في شعر أديب كمال الدين، ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، (رسالة ماجستير).
٤- محمد، أمين عبدالله (٢٠٠٥) الخصائص الفنية في الحكم والأمثال العربية ، دراسة فنية لكتاب مجمع الأمثال الميداني، جامعة النيلين ،السودان،(اطروحة دكتوراه) .
٥- مربيعي خديجة (٢٠١٦)، توظيف التراث في النص المسرحي الجزائري المعاصر ،جامعة ماي ١٩٤٥ قالمة، الجزائر (رسالة ماجستير)

ثالثاً: الدوريات (بحوث ومقالات):-

١- أبو طالب ، وفاء مسموع احمد(٢٠١٩) القيم الانسانية عند الشعراء النصارى قبل الإسلام قيم الكرامة والعفة وحسن الجوار إنموذجاً دراسة موضوعية، جامعة عين شمس، مجلة كلية التربية، العدد٢٥،الجزء٤،(بحث) . https://repository.ekb.eg/item/article/63cd5b99cf575200074bfa29

٢- اجداد، سيد إسماعيل حسينى (٢٠٠٨) مكانة الأمثال في الأدب العربي، جامعة آزاد الإسلامية ،مجلة دراسات الأدب المعاصر العدد٩، (بحث) https://civilica.com/l/148272 .

٣- إسماعيل ، أمنية جاد الكريم مصطفى (٢٠٢٣) السمات الفنية للتراث الشفاهي، مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية للعلوم التربوية ، المجلد٦، العدد١١، (بحث). https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-1624890-%

٤- الإمام ، هيفاء سليمان (٢٠٢٣) أهمية التراث الشفوي العربي في الحفاظ على الثقافة العربية الموحدة الجامعة ، مجلة وميض الفكر، العدد٢٠،(بحث)https://wameedalfikr.com/wp-content/uploads/2023/12/%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%B6

٥- بالمهدي ،عبد الله (٢٠١٤) حكمة لقمان بين التراث الإسلامي والتراث الشرقي القديم، جامعة الأمير عبد القادر، مجلة المعيار ،العدد٢، (بحث). https://www.univ-emir-constantine.edu

٦- بن شيحان ، ناصر بن راشد (٢٠١٧)القيم التربوية في الأمثال العربية دراسة موضوعاتيه اسلوبية، ، جامعة الأمير سطام عبد العزيز، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد٣٤، (بحث). https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-942723 -%

٧- حمود، ضياء فتحي (٢٠١٧) صورة المرأة في الأمثال العربية القديمة قراءة ثقافية في الخطاب الشعبي العربي، المؤتمر العلمي الدولي الأول بكلية اللغة العربية بالمنوفية(بحث).

٨- حيدري، ازاده(٢٠٢٢) الرموز الأخلاقية في الأمثال الفارسية والعربية دراسة مقارنه ، جامعة اصفهان ، مجلة الخطاب، المجلد١٧، العدد٢، (بحث) https://asjp.cerist.dz/en/article/189833 .

٩- راجح ، دعاء محمد (٢٠٢٢)الخصائص الفنية في الحكم والأمثال العربية (دراسة فنية لكتاب مجمع الأمثال للميداني)،المجلة العربية للنشر العلمي، العدد٤١، (بحث) https://www.ajsp.net/research .

١٠- رحيم، مستور حماد ٢٠١٨، الامثال الشعبية ودورها في التنشئة الاجتماعية والتربية(رؤية سوسيولوجية) ،جامعة بنغازي ، مجلة كلية الأدب ، العدد٤٣، . https://www.researchgate.net/publication/363656439 .

١١- سويلم، رعد هوير(٢٠٢١) المجنون وتمثلاته السردية في رواية فسحة للجنون، جامعة ميسان،مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية،العدد ٤١(بحث). https://www.misan-jas.com/index.php/ojs/article/view/244/166

Sweilem ,Raad Heuer, The insane and his narrative representations in the novel ASpace for Insanity, Misan University, Misan Journal for Academic studies ,Vol 21, Issue 43 ,septembe r 2021

١٢- عبد الله ،عماد حمدي (٢٠٢١) بناء الشخصيات في رواية الحمام ال يطير في بريدة ليوسف المحيميد ، جامعة الفيوم اللغويات والثقافات المقارنة، مجلة كلية الآداب، ، مجلد٣١ ،العدد ٢ ، (بحث).
https://kezana.ai/Details/Article/oRQ6uhm_MEri9FgNQpFu2Q

١٣- عبود،فاطمة (٢٠٢٤) انعكاس الهوية الجندرية الأمثال العربية(مقال)
https://www.syria.tv/%D8%A7%D9%86%D8%B9%D9%83%D8%A7%D8%B- .

١٤- عطيه، أحمد سلمان و غالي ، اشكان حسين(٢٠٠٥) سمات شخصية المخرج العراقي وعلاقتها بالمنظر المسرحي، جامعة بابل ،العدد٢٢ ،(بحث)
https://search.emarefa.net/ar/search?append=PERSON_FILTER_AR_NAM E_.

١٥- عيسى ،خضري (٢٠٢١)دلالة الأمثال والحكم في التراث العربي الأمثال الفصيحة في منطقة الجلفة إنموذجا ، مجلة آفاق للعلوم ،المجلد٦ ،العدد٤، (بحث)
https://fliphtml5.com/spjhy/uanl/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9.

١٦- غنيم، محمد (٢٠١٧) من الموروث الأخلاقي للعرب قبل الإسلام الوفاء بالعهد (مقال).https://www.al-jazirah.com/2017/20171113/wo1.htm

١٧- محمد، سجى جاسم (٢٠٢٢) معانٍ متشابهة في مبانٍ مختلفة دراسة في إنموذجات من الأمثال العربية، جامعة ميسان ،مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية ،مجلد ٢١، العدد ٤٣.(بحث) https://www.misan-jas.com/index.php

saja jassim, Similar meaning in different buildings, astudy of examples of Arabic proverbs, Misan University, Misan Journal for Academic studies ,Vol 21, Issue 43 ,september2022

١٨- محمد، فتحي(٢٠١٧) استيحاء الشخصيات التراثية في بناء النص الشعري لدى امل دنقل، ، جامعة سيدي بالعباس (الجزائر)، مجلة جسور المعرفة العدد١٠، ، (بحث).
- https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-870216

١٩- محمود، رانيا (٢٠٠١)ممدوح دور الأمثال الشعبية كموروث ثقافي في تعزيز القيم الإنسانية في الإعلان، مجلة العمارة والفنون،العدد١٨،(بحث). https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-1016461-%D8%AF%D9%88%D8%B1 -

٢٠- الهدروسي، سالم (٢٠٠٨) خطاب الأمثال القديم عند العرب دراسه أدبية ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للأدب ، مجلد٥، العدد١ ، (بحث) https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-10493-%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8 .